

الرسالة السادسة

١ - طرف من ترجمة سيدى أحمد بن محمد التجانى
رضى الله عنه .

٢ - رجال الطريقة الذين قاموا بنشرها فى القطر
المصرى .

لفضيلة العارف بالله تعالى

سيدى الشيخ / محمد الحافظ التجانى المصرى

رمضان سنة ١٣٥٥ هـ

عرف شيوخ هذه الطريقة حيثما كانوا فى أرجاء المعمورة بالعلم والولاية ، واشتهروا بالتمسك بالكتاب والسنة ، والحرص على العمل الصالح ، والتخلق بمكارم الأخلاق ، ورفع الهمة عن الخلق .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً لا حد له ، والصلاة والسلام على خير خلق الله الذى فاضت فضائله على ذوى الفضل ، فتجملوا بفضله وتحلوا بكمالاته ، فهو ينبوع الأصفى والورد الأهنى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه .
وبعد ،،،

فهذه رسالة كتبها العلامة السيد / محمد الحافظ التجانى فى تاريخ انتشار هذه الطريقة التجانية فى قطرنا المصرى ، تلك الطريقة العلية المشرفة المنصورة الميمونة ، الميمون أهلها ، ومما يقر عين المنصف ويكبت الحسود المخذول أن الشيوخ الذين قاموا بنشرها اشتهر فضلمهم بين من كانوا بينهم ، بحيث لو ذهبت إلى أى بقعة من بقاع المعمورة فيها أحد أولئك الأشياخ تسأل من عاش فيهم أو من تتبع أخباره لا تسمع إلا ثناء على صلاحه وعلمه وولايته ، وبدهى أن ذلك إنما يكون صورة القدوة الحسنة التى اتبعوها ، والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

ونحن فى غنى عن بيان أن السادة الصوفية هم خلاصة هذه الأمة المحمدية بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كفانا مؤونة بيان ذلك المحققون من الأصوليين والفقهاء والمحدثين والمؤرخين ، وستتبع هذه الرسالة إن شاء الله تعالى برسالة خاصة فى ذلك ، وننقل شيئاً من كلام الإمام الحافظ الحاكم النيسابورى صاحب المستدرک على الصحيحين البخارى ومسلم المتوفى سنة ٤٠٥ هـ ، والعلامة أبى إسحاق الشاطبى الفقيه الأصولى فى السادة الصوفية ، وكلام الشيخ تقى الدين بن تيميه ، وتلميذه ابن القيم ، وابن خلدون المؤرخ ، وحجة الإسلام الغزالى وحسبنا أن العلماء الذين يحتج بفتياهم فى مذاهب أهل السنة والجماعة غالبهم من الصوفية ، أو المسلمین للصوفية رضوان الله عليهم أجمعين .

وأسأله سبحانه أن يقينا الزلل ، وأن يحشرنا تحت لواء المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويحيينا مسلمين مؤمنين ، ويمسح خاتمنا ، آمين ، والحمد لله رب العالمين .

مريد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على الفاتح الخاتم سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين
وسائر المؤمنين .

طرف من ترجمة الشيخ رضى الله عنه

يحسن بنا أن نقدم كلمة موجزة فى تاريخ صاحب الطريقة الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى
الله عنه قبل أن نتكلم فى تاريخ انتشار الطريقة التجانية فى ديارنا المصرية ، فقد شرف هذه
الديار سنة ١١٨٧ هجرية ، وقد توخينا أن ننقل هذه الكلمة عن أحد العلماء من غير أتباعه
رضى الله عنه فى مؤلف تكلم فيه عن أعيان فقهاء السادة المالكية ، قال الشيخ البشير ظافر فى
كتاب اليواقيت الثمينة فى أعيان مذهب عالم المدينة ، فى ترجمته رضى الله عنه :

" أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم الشريف التجانى الشهير القدوة الكامل
العارف الراسخ جبل السنة والدين ، العلامة الدراكة المشارك الفهامة ، الجامع بين الشريعة
والحقيقة نادرة الزمان ومصباح الأوان ، قال الكتانى^(١) : كان رحمه الله أحد العلماء العاملين
والأئمة المجتهدين ، ممن جمع بين شرف الجرثومة والدين ، وشرف العلم والعمل واليقين ،
والأحوال الربانية الشريفة والمقامات العلية المنيفة ، قوى الظاهر والباطن ، كامل الأنوار
والمحاسن ، بهى المنظر جميل المظهر ، منور الشيبة عظيم الهيبة ، جليل القدر شهير الذكر ، ذا
صيت بعيد وحال مفيد ، وكلمة نافذة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عائدة ، ولد سنة
خمس مائة وألف تقريباً بعين ماضى ، ونشأ بها فى عفاف وأمانة ، مقبلاً على الجد والاجتهاد
مشتغلاً بالقراءة ، ثم اشتغل بطلب العلوم الأصولية والفرعية والأدبية ، حتى رأس فيها
وحصل أسرار معانيها ، وقرأ على الشيخ المبروك بن أبى عافية التجانى المضامى مختصر الشيخ

خليل والرسالة ومقدمة ابن رشد والأخضري ، فكان رضى الله عنه يدرس ويفتى ، وله أجوبة فى فنون العلم أبدى فيها وأعاد ، وحرر المعقول والمنقول وأفاد ، ثم ارتحل لفاس عام إحدى وسبعين ومائة وألف ، وسمع فيها شيئاً من الحديث ، ولقى مولانا الطيب الوزانى ومولاي أحمد الصقللى ، وارتحل منها إلى تلمسان وأقام بها يدرس التفسير والحديث وغيرهما ، وحج سنة ست وثمانين ومر بتونس ، ورجع بعد حجه إلى فاس وارتحل إلى توات ، وأذن له صلى الله عليه وسلم فى تلقين الخلق سنة ست وتسعين ، ثم ارتحل من الصحراء إلى فاس واستوطنها عام ١٢١٣ هـ ، ومناقبه رضى الله عنه وأحواله كثيرة ، ومن أراد بسطها فعليه بكتب أصحابه ، ومدحه العلامة سيدى حمدون بن الحاج بقوله :

إن شئت تغدو فى رياض أمان وأردت تغدو فى منى وأمان
 فعليك بالبدر المنير سنا أبى ال عباس أعنى أحمد التجانى
 شمس الهداية قطب دائرة الهدى بدر السعادة كوكب الإحسان
 بحر الندى مُبدٍ لنا حكماً سمت كفرائد فى العقد والتيجان
 حبر إمام قد سما بمعارج فى الصالحات ولم يكن متوان

توفى صبيحة يوم الخميس ١٧ شوال سنة ثلاثين ومائتين وألف ، وحضر جنازته من لا يحصى من علماء فاس وصلحائها وأعيانها وفضلائها وأمرائها ، ودفن بزوايته المشهورة من حومة البليدة " انتهى .

وترجم له صاحب الاستقصا فى أخبار المغرب الأقصى فى الجزء الرابع أثناء سياق أخبار السلطان مولاي سليمان ، وذكر فى وفاته : " توفى الشيخ العالم العارف الإمام أبو العباس أحمد التجانى شيخ الطائفة التجانية ، وكانت وفاته بفاس المحروسة إلخ " .

وترجم له الأستاذ النبهانى فى كتابه جامع كرامات الأولياء فأطال فى مدحه ثم قال : " إمام العارفين وأحد أفراد أكابر الأولياء المقربين ، قال الشيخ عمر الرياحى التونسى فى كتابه تعظيم

النواحي بترجمة جده العلامة الإمام الشيخ إبراهيم الرياحي^(١) : ولما بلغ الشيخ رحمه الله إلى حضرة فاس مشى أولاً لدار سيدنا القطب المكتوم التجاني ، نفعنا الله به ، ولما استفتح الباب أجابته الخادم ، ثم قالت : هل أنت الشيخ إبراهيم الرياحي التونسي ؟ فقال لها : نعم ، فقالت له : إن الشيخ أخبر بمجيئك وأذن بإدخالك من غير استئذان ، وأدخلته ، فوجد بدار الشيخ سيدي محمد بن المشري وسيدي محمد الغالي وغيرهما ممن فازوا بحضرة الشيخ ، ثم قُدم إليه قدح من اللبن ، فشرب جميعه ، وبعد ذلك خرج عليه جناب الشيخ التجاني من خلوته ، وبعد أن قبل تحيته أخبره بوفاة الشيخ صالح الكواشي شيخه وأنه كان في جنازته ، فيكون ذلك اليوم هو يوم الاثنين السابع عشر من شوال سنة ١٢١٨ هـ ، وحضور القطب المكتوم في جنازة الشيخ صالح الكواشي بطريق الكرامة ، إذ الأول بفاس والآخر بتونس ، انتهت عبارة الشيخ عمر الرياحي في كتابه المذكور " انتهى من كتاب جامع كرامات الأولياء للشيخ النبهاني رحمه الله .

وقد أنكر بعض من تقيّد بالحس الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والتلقى عنه ، على أن رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام متفق عليها ، ففي الصحيح عن أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : ((من رأى في المنام فقد رأى فإن الشيطان لا يتخيل بي ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)) ، وفي حديث أبي هريرة : ((فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي)) .

وفي حديث جابر عند مسلم وابن ماجه : ((إن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بي)) ، وفي حديث أبي قتادة : ((وإن الشيطان لا يترأى بي)) بوزن يتعاطى ، وفي رواية غير أبي ذر يتزايا بالزاي المعجمة .

وفى رواية أبى سعيد الخدرى فى الصحيح ، سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ((من رأى فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكونى)) .

وأخرج البخارى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((من رأى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى)) ، والعبارة بعموم اللفظ ، ولم يقيد الرسول صلى الله عليه وسلم عدم تمثّل الشيطان به بالنوم بل أطلقه ، فمن زعم أن الشيطان يتمثل بالمصطفى صلى الله عليه وسلم فى نوم أو فى يقظة فعلمه جهل وعقله مختل ، (وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)^(١) ، وكلامه صلى الله عليه وسلم فوق كل كلام للخلق .

وخلاصة ما انتهى إليه التحقيق أن من رآه صلى الله عليه وسلم على صورته الشريفة ولم يكن فى الرؤيا ما يخالف الشرع الشريف فهى رؤيا صريحة غير مؤولة فلا تحتاج لتعبير ، ومن رآه على صورة أخرى أو كان فى الرؤيا ما يخالف الشرع الشريف فهى رؤيا مؤولة تحتاج للتعبير ، كمن رآه أسود مثلاً فذلك إشارة إلى وقوعه فى ظلمة والرسول صلى الله عليه وسلم ينبه لها بتلك الحال ويأمره بالخروج منها ، أو كمن رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو يقول له : اقتل نفسك ، فيحمل ذلك على أنه يأمره بأن يميتها معنوياً بالقيام والمجاهدة ومخالفة هواها حتى لا يكون لها عليه سلطان (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ)^(٢) ، والميزان فى ذلك هو الشرع الشريف ، فيجب أن تعرض عليه الرؤيا ويحكم عليها بمقتضاه .

فهب أنه قد رآه فى المنام ، فرؤيته صلى الله عليه وسلم حق وما يتلقى عنه إذ ذاك لا مانع من العمل به مادام لا يخالف الشريعة ، وهذا موطن اتفاق بين جميع العلماء لا يستطيع أن يخالفه إلا جاهل أو معاند .

وإذا فليس هناك كبير فائدة في إنكار رؤية اليقظة ، لأن النتيجة واحدة لأنه لا عمل إلا بما يوافق الشريعة ، وقد أثبتنا من لا يتهم في دينه وعلمه كالإمام ابن أبي جمرة وابن الحاج والغزالي وغيرهم .

وإذا أرجعنا الأمر إلى القدرة الإلهية فهي داخلة تحتها بغير شك ، ومن شك في إمكانها بعد ما شاع وذاع من رؤية النائم نوماً مغنطيسياً من في مشارق الأرض ومغاربها ، وأن من الناس من يتكلم مع من في المشرق أو في المغرب وهو يرى أمامه صورته ، من شك في إمكانها بعد ذلك فهو محتاج إلى طبيب .

وإذا رجعناها إلى الشرع فلم يأت شرع يبين أن قدرة الله لم تتعلق بوجودها ، وجميع القائلين بها متفقون على أنه لا بد من عرضها على الشريعة ، فليس ثمة ما يحيلها عقلاً ولا شرعاً ، ولا ريب أن الحقائق لا تزال حقائق ، وأهلها أهلها متمتعين بها رغم إنكار المنكر ، وليس من لم ير بحجة على من رأى ، فلو شهد ألف عدل أنهم لم يروا الهلال مثلاً وشهد عدلان أنهما رأياه فهما الحجة على من لم ير ، وتمضى أحكام رؤيتهما عليهم ، وقد أفرد الحافظ السيوطي وغيره ذلك بالتأليف ، ولنا كتاب خاص برؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة^(١) أتينا فيه بالحجج البينة عليها ، ولا يوجد مسلم يجهل أن الحق تبارك وتعالى إذا أراد أن يغدق فضله على أحد بأن يريه الذات المحمدية الشريفة ويمن عليه بتلقى ما يصح أن يتلقى من معارف وأذواق فإنه سبحانه لا يستشير أحداً من أولئك المنكرين في إنعامه ، حتى يكون سبحانه لا يتفضل على أحد إلا بما يعلمون (وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)^(٢) .

وليس بخاف على أهل العلم أن حكم ما يلقي في تلك اليقظة هو حكم ما يلقي في النوم لا بد أن يعرض على الشريعة ، ولا يعول إلا على ما وافقها ، وغيره له تأويل .

وما زال رضى الله عنه منذ تولى الرسول صلى الله عليه وسلم تربيته بالروح يسمو ويرقى حتى بلغ مقام القطبانية العظمى ، ثم وصل إلى مقام الولاية المعروف عند الأولياء بالختمية عام

أربعة عشر في القرن الثالث عشر الهجرى فى شهر الله المعظم صفر يوم الاثنين لثمان عشرة خلت منه ، وكان إذ ذاك بمدينة فاس .

وقد ظن البعض أن معنى الختمية أن لا ولى بعده ، وهو غلط ، وإنما هو مقام من مقامات الولاية ، وقد انتفع به رضى الله عنه ألوف الألوف من سائر طبقات الأمة الإسلامية فى عصره وبعده من أهل المشرق والمغرب وأكابر العلماء وخاصة علماء المغرب ، ومن أصحابه من كان له الإمامة فى وقته علماء وعملاً ، وحسبك أن يكون من أصحابه شيخ الإسلام سيدى إبراهيم الرياحى التونسى ، الذى ذكر عنه السيد محمد الخضر التونسى أنه كان كالعز بن عبد السلام سلطان العلماء فى زمنه ، وشيخ الجماعة بفاس فى عصره سيدى أحمد بنانى كلا ، وسيدى محمد الحافظ العلوى الشنقيطى ، ومن شاء أن يرى صورة لما يؤثر " من ثمارهم تعرفونهم " فليقرأ مناقب أصحابه وأصحابهم حتى يرى كيف تسرى الولاية من روح إلى روح ، ومن سر إلى سر ، ولنذكر سلسلة نسبه الشريف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نسبه رضى الله عنه

هو سيدى أحمد بن محمد الملقب بابن عمر لشدته فى دينه ، ابن المختار أحمد بن محمد - وهو أول من نزل من هؤلاء السادة بعين ماضى - ابن سالم بن أبى العيد بن سالم ابن أحمد الملقب بالعلوانى بن أحمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد الجبار بن إدريس بن إدريس بن إسحاق بن على زين العابدين بن أحمد بن محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه من السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة عليها السلام ، ابنة خير الخلق وسيدهم رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والمسلمين .

الطبقة الأولى

وإننا نستعين بالله عز وجل ونبدأ بمن علمنا استيطانه هذه الديار المصرية ممن اجتمع بسيدنا
رضى الله عنه وأخذ عنه مشافهة ، وقد تحقق ذلك فى ثلاثة من أعلام الطريق وجهابذة التحقيق
وهم :

١ - سيدى محمد بن عبد الواحد بنانى المصرى .

٢ - سيدى الحاج المفضل السقاط .

٣ - سيدى محمد السقاف .

رضى الله عنهم ، آمين .

١ - سيدى محمد بن عبد الواحد بنانى المصرى

ذكر فى كشف الحجاب عن تلاقى بالشيخ التجانى من الأصحاب :

" المقدم الذى أذعنت له الأكابر فى بساط المعارف ، والمصدر فى المحافل الفخيمة لما حازه من اللطائف والطرائف ، المرتقى فى أوج الولاية علاه حتى أدرك فى المعالى ما لم يدركه سواه ، أبو عبد الله سيدى الحاج محمد بن عبد الواحد بنانى المصرى ، هذا السيد رحمه الله من خاصة الخاصة من أفاضل المقدمين فى هذه الطريقة المحمدية قيد حياة سيدنا رضى الله عنه ، الذين كانوا عند سيدنا رضى الله عنه بالمكانة العالية فى الوداد والمحبة لما جبلوا عليه من صفاء الحب وخلوص الاعتقاد ، وكان رحمه الله ممن شهد لهم بالفتح الأكبر كل من رآه ببرهان كراماته الظاهرة ومناقبه الفاخرة ، ولقد طارت بفضائله الركبان ، وشاعت مآثره فى غالب البلدان ، وكم من عالم فاضل وعارف واصل اقتبس من نور مشكاته الوهاج ، واكتفى به عن غيره كل محتاج ، لاسيما فى هذه الطريقة الربانية ذات المواهب العرفانية ، فقد كان فيها ركناً مشيداً ، وبدراً فى أفقها للحق مرشداً ، وقد قدمه سيدنا رضى الله عنه فيها تقديماً مطلقاً وأطلق له فيه غاية الإطلاق بخطه الشريف ، وكتب له الخليفة الأكبر سيدنا الحاج على حرازم التقديم بخطه وأطلق له فيه غاية الإطلاق ، وأيضاً كما حدثنى بذلك المقدم سيدى الطيب السفينانى رعاه الله ، كما أخبر بذلك جده المقدم سيدنا الطيب رضى الله عنه غير واحدٍ من أفاضل الإخوان ، رحم الله الجميع " انتهى .

وذكر فى ترجمة سيدى الطيب السفينانى صاحب سيدنا رضى الله عنه ، ومؤلف الإفادة

الأحمدية :

" وسبب أخذه للطريقة التجانية ذات المعارف الربانية على ما حدثنى به الثقات ، أنه لما ذهب للحج ومر بمصر اجتمع هناك به المقدم البركة ذو الجناح المحترم أبو عبد الله سيدى الحاج محمد بن عبد الواحد بنانى المصرى ، ودخل عنده لمحله ، فاتفق أن وقع نظر صاحب الترجمة على كتاب جواهر المعانى عنده ، فأخذه وصار يقرؤه ويستحسنه ، ويتعجب مما اشتمل عليه من

المعارف واللطائف ، وسائق السعادة يقول لسان حاله : ادخل فى هذه الطريقة المحمدية غير خائف ، ويتأسف كثيراً من عدم اجتماعه بسيدنا رضى الله عنه مع كونه فى بلده ويلوم نفسه على ذلك ، ولما رآه المقدم المذكور فى غبطة مما رآه زاده تشوقاً على تشوقه بذكر بعض كرامات سيدنا رضى الله عنه ، وما شاهده من المناقب العظيمة ، فأزمع على أنه إن قدر له بالرجوع لفاس لا بد أن يجتمع بسيدنا رضى الله عنه .

ولما قدر الله له بالاجتماع معه رضى الله عنه - كما سيأتى فى بعض التراجم كيفية الملاقاة معه وكيف أخذ الطريقة إن شاء الله - أخبره سيدنا رضى الله عنه بأمر فى خاصة نفسه دلت على مزيد الاعتناء من سيدنا رضى الله عنه به ، وذكر له من المناقب التى قوت يقينه فى طريق سيدنا رضى الله عنه لتوثيق رابطة الاعتقاد فيه ، ما أزال الله عنه به الريب والشك ، فمن ذلك ما بلغنى عن أن سيدنا رضى الله عنه قال له رضى الله عنه بعد الاجتماع : ما هذا التوانى الذى فىك يا فلان ، حتى إنك لم تسارع إلى الدخول فى طريقتنا من أول وهلة ، مع أنى مريبك وكفيلك قبل أن تلدك أمك ، ولقد كانت أمك حاملة بك فسقطت يوماً على شىء كاد أن يثقب جنبها ويؤذيك فى جسدك ، فتلقيتها برفق ولين ، فلم يؤثر ذلك فى جسمك تأثيراً يؤدى إلى إفساد الخلقة وتشويه الصورة ، بإذن الله تعالى وإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما أصابك بعض ضرر فى رأسك ، ودليل ذلك وجود أثر فيه .

وكان فى رأس صاحب الترجمة حفرة ولم يدر ما سببها ، وقد ازداد بها يقيناً ، ثم إنه سأل بعد ذلك والدته عنها ، فأخبرته بأنه ولد بها ، وسببها ما أخبر به سيدنا رضى الله عنه ، فحيث علم يقيناً أن ما أخبر به سيدنا رضى الله عنه من جملة كراماته التى لا تحصى ، وأن الفتح له لا يكون إلا على يده من غير شك ولا ريب ، فازداد فيه محبة على محبة ، وأسلم إليه الانقياد فى حالته الحضور والغيبة " انتهى .

وكان سيدي محمد بن عبد الواحد بناني المصري رضى الله عنه ملجأ القاصدين ، ومحط
رحال الوافدين إلى الله تبارك وتعالى ، حجاج المغاربة الذين بلغتهم ذكراه الواسعة ، وطلبة
العلم الوافدين إلى مصر ، وقد توفى بها ، وقد بلغنا أنه دفن بقرافة المجاورين .
وكانت ولادة سيدي عبد الواحد بناني والد الشيخ بمدينة فاس عام ١١١٣ هجرية ، ثم
هاجر إلى مصر وتوفى سنة ١١٩٤ هجرية ، ودفن بزوايته فى إحدى قرى الجيزة بجوار سقارة ،
ويعرف بسيدي المغربى ، ومن تلامذته المحدث الكبير السيد مرتضى الزبيدي وقد ترجم له فى
معجم شيوخه الكبير ترجمة وافية .

٢ - سيدى الحاج المفضل السقاط

قال سيدنا رضى الله عنه فى كتاب الإفادة الأحمدية :

" أوصانى صلى الله عليه وسلم على المفضل السقاط ، وقال لى : لا تفرط فيه ، وما كنت أذنت له فى الطريق ، والآن أذنت له ، وأطلقت له من هنا .

يعنى يعطيها ، سببه أنه قيل له : إنه يسلم عليك وهو بقنا من أرياف مصر يعطى طريقك ، فذكره " انتهى .

وترجم له سيدى العربى بن السائح فى بغية المستفيد ، وصاحب روض شمائل أهل الحقيقة فى التعريف بأكابر أهل الطريقة ، وذكره صاحب كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجانى من الأصحاب ، قال :

" ومنهم ريجانة الأولياء وتاج الأصفياء ، المتوج بتاج العناية المبرز على منصة الولاية ، المقدم الجليل أبو البركات سيدى الحاج المفضل السقاط ، هذا السيد من خاصة الخاصة الذين شهد بفضلهم العامة والخاصة ، وقد كان رحمه الله من المفتوح عليهم فى هذه الطريقة المحمدية ، المشهود لهم بالنعف العام بين أهل التربية ، وقد حصل له فى مبادئ أمره مع سيدنا رضى الله عنه شئ أوجب عتابه لمخالفته أمر القدوة ، فرفع عنه الإذن فى هذه الطريقة تربية له وزجراً لأمثاله وأخبر بذلك أصحابه ، ثم إنه فى بعض الأيام أخبرهم رضى الله عنه بأنه جدد له الإذن فيها وأطلق له فى التقديم لتلقيها حين أوصاه النبى صلى الله عليه وسلم عليه " .

ثم نقل عن الإفادة الأحمدية نص هذه الوصية : " ثم قال : وقد ترجم له فى البغية عند قول المنية فى تعداد المفتوح عليهم بالولاية بسبب صحبة سيدنا رضى الله عنه ، والسيد المفضل المفضل بما نصه : وأما السيد المفضل الفاسى ، وكان من أفراد أصحاب الشيخ رضى الله عنه ، فامتحن فى قضية معروفة ، فظهرت منه مخالفة للشيخ رضى الله عنه ، فأخبر رضى الله عنه أنه رفع عنه الإذن ، ولما سافر إلى المشرق آل أمره فى سفره بعد حجه إلى أن إستوطن بقنا ، فلم

يشعر الإخوان ذات يوم إلا وقد أخبر سيدنا رضى الله عنه أنه جدد له الإذن وأجاز له فى الطريق بالإجازة العامة والإذن المطلق " انتهى .

وقد سافرت إلى قنا فى شهر رمضان سنة ١٣٤٤ هـ للوقوف على شىء من أخباره وما انتهى إليه أمره رضى الله عنه ، فلقيت بالمسجد العتيق التقى الجليل صاحب الخلق النبيل السيد محمد المغازى حفظه الله تعالى ، فسألته عما إذا كان يستطيع أن يساعدى فى جمع أخبار سيدى المفضل فدلنى على الفاضل الصالح الشيخ حسن سعد الدين بارك الله فيه وفى ذويه ، وعنده اجتمعنا بالأديب السيد أحمد شرقاوى فأخبرنا أنه سمع الشيخ الرفاعى مقلد - وكان من الصالحين - يتلاهى مع الشيخ أحمد عبد الغفار النقيب لأنه بنى بيته فى المقبرة التى كانت بجوار سيدى عبد الرحيم على قبر سيدى المفضل ، وأخبرنا الحاج راشد بكير والشيخ أحمد أبو حكيم أنه قد تواتر عنه أنه كان يصرف من تحت السجادة .

وأخبرنا الشيخ حسن عثمان ، والشيخ عبد المجيد سليمان الدربالى - ومنزله مجاور لمنزل سيدى المفضل - أن زاوية أبى سلمى كانت زاويته التى يدرس فيها ، ومنزله بجوارها معروف لهم باعتة ابنته السيدة خديجة ، وقد كان يزرع الحوش الذى بجوارهم نعناعاً ، وأخبرنى الشيخ عبد المجيد أن من تلاميذ سيدى المفضل السقاط من لازم قبره - وكان من الوجه البحرى - ليلاً ونهاراً أمدأ طويلاً ، وقد اجتمعنا بالشيخ مصطفى عبد الغفار صاحب المنزل الذى به قبر سيدى المفضل وأخبرنا أنهم شاهدوا من عظيم بركاته وجيل كراماته الشىء الكثير ، ومن ذلك أن سارقاً سطا على منزلهم فظهر له الشيخ رضى الله عنه فحبسه إلى الصباح ، وتواتر هذا واستفاض وحدثنى به الثقة المفضل الأستاذ الشيخ حسن سعد الدين حفظه الله تعالى وكثيرون ولذلك كان صاحب الدار إذا خاف على شىء تركه فى فناء الدار عند قبره رضى الله عنه وأغلق على نفسه وأهله الحجرة التى هو فيها ونام مطمئناً ، وكثيراً ما كانوا يرونه عياناً نهاراً أو ليلاً .

وقد اجتمعنا بالشيخ على أبو كمالى عندما ذهبنا لئرى منزل الشيخ وهو بجوار منزل الشيخ أبى كمالى ، فأخبرنا أنه كان صبيياً فى المكتب يقرأ القرآن ، وكان هو والصبيان يمرون بسيدى

المفضل فيقبلون يده ، وكان يدعو لهم ، وهو الوحيد الذى رآه ممن اجتمعنا بهم وسنه نحو خمس وسبعين سنة ، وقد أخبرنا أن الشيخ رضى الله عنه كان مسناً وكان عالماً ولياً وكان من المغرب . وقد دلونا على البلد التى فيها أولاد بنت الشيخ رضى الله عنه ، وتسمى الصعايدة ، وهى تبع دشنا مديرية قنا ، فسافرت إليها مع السيد محمد المغازى بارك الله فيه ، واجتمعنا بأولاد الشيخ عبد الرحيم ابن بنت سيدى المفضل وأصهاره ، ومنهم الشيخ عبد الوهاب محمود زوج بنت الشيخ عبد الرحيم وكان رفيقه فى مشيخة البلد ، وقد أثنت زوجته على السيدة خديجة بنت السيد ثناءً عظيماً ، وذكرت أنها عاشرتها مدة طويلة وكانت خيراً لها من أمها الرءوم ، وأخذت تذكر مكارم أخلاقها وحسن معاملتها وعلمها وأدبها .

وكذلك الشيخ محمد الفحار إمام مسجد السنجق ، وأخبرنا أن قد تواتر فى دندره أن الشيخ رضى الله عنه كانت له صحبة بعائلة القاضى ، وكان عندهم كتب من كتب الشيخ المفضل ، وقد وصل إلى القطب الكامل شيخ الشيوخ العارف الواصل سيدنا الشيخ أحمد أبو شرقاوى رضى الله عنه من كتب الشيخ رسالة فى حل طلسم السبع المثانى ، وأنه قد حصل له بها النفع العظيم وذلك ببركة سيدى المفضل رضى الله عنه .

ومن كراماته رضى الله عنه أن أحد الحكام فى عصره كان بدندره برتبة قائم مقام وأراد أن يتزوج من أهل دندره وكان بها أربعة بيوت ، فطلب من بيت الإمارة أن يزوجه بنت كبيرهم ، فمنعوه وقالوا : نحن لا نزوج إلا من جنسنا ، فغضب عليهم وقتل ذلك الكبير ، ثم إنه أراد التزوج من بيت آخر فمنعوه فقتل كبيرهم ، ثم أراد التزوج من البيت الثالث فمنعوه فقتل كبيرهم كذلك ، ثم أراد أن يتزوج من بيت القاضى وهو الرابع ، فأراه أنه قبل لينجو من القتل ثم قصد إلى قنا ومعه فقيه من بلده يسمى الشيخ على قلغا ، وأخبر الشيخ المفضل بما حدث ، وتوسل به إلى الله أن ينقذه من هذا الرجل الظالم ، فأمر الشيخ على قلغا وكان ضريراً أن يعود مع القاضى ، وعلمه دعاء يتوجه به إلى الله عز وجل أن يكفيهم شر هذا الطاغية ، فعادوا إلى دندره ، فدخل مخدعاً وفعل ما أمره الشيخ به ، حتى إذا انتصف الليل رأى اثنين من عساكر

الترك فسألاه عما يطلب ، فقال لهم : أريد منكما قتل قائم المقام الحالى الظالم الذى قتل الأنفس بغير حق ، فقال أحدهم : بدم أو بغير دم ؟ قال لهما : بغير دم ، فواعدها بذلك ، وكان ذلك الظالم فى داره يتأهب للنوم ، فرأى رجلين من الجند وضع أحدهما قدمه على حلقومه والآخر وضع قدمه على بطنه ، فأخذ ينادى ويستغيث ، ويقول : امنعوا الرجل الذى على رقبتي والآخر الذى على بطني ، وأصبح ميتاً ، وكان الشيخ على اشترط أن يتزوج هذه الفتاة ، فتزوجها وله منها أولاد .

وكان يمنح من يقصده من الأسرار ما تقر به عينهم ، وعلمنا من آل سيدى المفضل أنهم يترددون على منزل الشيخ مصطفى عبد الغفار النقيب لزيارة جدهم رضى الله عنه ، كما كان الشيخ عبد الرحيم يفعل ، ومن عائلة النقيب من يزورهم كذلك .

وقد آلت الدار التى بها قبره رضى الله عنه إلى الشيخ الشاذلى النقيب ابن الشيخ مصطفى عبد الغفار ، ويعلمون أن الشيخ من فاس من عائلة السقاط ، وأنه شريف من أهل العلم والولاية ، وطالما سمعوا من الشيخ عبد الرحيم أن جده سيدى المفضل لا يبلغ مرتبته فى الولاية ولى من أولياء القطر المصرى ، كسيدى عبد الرحيم وسيدى أحمد البدوى ونحوهما .

وقد ذكروا أنه خلف السيدة رقية وتركها بفاس ، والسيدة حفيظة تزوجت بالمنيا ، والسيدة خديجة والدة الشيخ عبد الرحيم ، أما السيد عبد الحلیم فقد مات غريقاً فى حياة والده رحمه الله تعالى ، وكان لهم أخ أو ابن عم بالمدينة من العلماء اسمه السيد عبد الله السقاط ، ويعرفون عن الشيخ أنه كان لا يخرج من خلوته إلا للدرس غالباً ، وكان يصرف من تحت السجادة ، فيجدون كل يوم ماشاء الله فينفقون ثم يتصدقون بالباقي ، وكان عندهم كتاب من كتبه فكانوا يجعلونه على الغلة تبركاً ثم يكيلونها فيجدون البركة الكثيرة .

أما الشيخ عبد الرحيم - وقد كان توفى منذ شهور عندما كنا لديهم - فكان يعلم شيئاً عن الشيخ وكراماته وأسراره ، وكان ينقل بعض الفوائد عن كتب جده سيدى المفضل ، وقد رأيت

بعض أوراق وبها دقائق من علم التوحيد والأذكار الخصوصية مما يدل على مكانة عليّة سامية ،
ومما استنتجته من بحثي أنه توفي قريباً من سنة ١٢٨٠هـ ، رضى الله عنه ونفعنا بجه ، آمين .
وكان مقصوداً من المشرق والمغرب ، وكان كأنما ينفق بغير حساب ، وعرف الكبير والصغير
فضله ، وكان له عند الكبراء كلمة نافذة ومكانة عليّة ، وكذلك ابنته السيدة خديجة من بعده ،
وكانت رضى الله عنها عالمة فقيهة أدبية .
وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه ، آمين .

٣ - سيدى محمد السقاف رضى الله عنه

هو من خاصة أصحاب شيخنا الذين تربوا على يديه وتشرفوا برؤيته ، وقد مكث فى صحبته أكثر من عشرين عاماً ، ونال منه حظاً من السر وافراً ، كما ذكر الشيخ الفقيه الحسن بن عبد القادر أحد الخاصة من أصحاب سيدى محمد بن المختار الشنقيطى فى كتابه فى ترجمة شيخه المسمى الفيض الدانى فى نزر من أطوار وارث التجانى ، قال : " وحكى لنا سيدنا - أى سيدى محمد بن المختار رضى الله عنه - أنه ما انتفع منه بمقال وإنما انتفع منه بالحال ، فإنه قال : كلما سألته عن سيدى الشيخ أحمد التجانى رضى الله عنه فبمجرد ما أسأله عنه ويتكلم فيه كلمة أو كلمتين يصير يبكى حتى تكاد روحه أن تزهق فلا يستطيع أن يتكلم لى فيه أبداً ، فهذا دأبه إلى أن توفى رحمه الله تعالى " انتهى .

وقد ذكر لى سيدى السيد محمد بن السيد محمد بن سيدى محمد بن المختار رضى الله عنه : " أن جده أخذ عن أربعين من أصحاب شيخنا رضى الله عنه ، ولكن اختار أن ينتمى لسيدى محمد السقاف ، لفنائته فى محبة الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه " انتهى .

وصحبه سيدى ابن المختار سنة ، وممن صحبه سيدى الحاج محمد أبو قرعة المتوفى بأسوان كما أخبرنى المقدم الشيخ إبراهيم بن محمود وهو من بلده واجتمع به فى أسوان وهو الذى أخبره بذلك ، كما بلغنى عن غيره ، وتوفى سيدى محمد السقاف بالديار المصرية رضى الله عنه .

رجال الطبقة الثانية

الذين ورثوا أصحاب الشيخ رضى الله عنهم وهم :

- ١ - القطب الوارث سيدى محمد بن المختار التجانى الشنقيطى .
- ٢ - سيدى الحاج هو أبو مدين العقبانى التلمسانى .
- ٣ - سيدى أحمد كلا بنانى .
- ٤ - سيدى البشير بن سيدى محمد الزيتونى .
- ٥ - سيدى أبى محمد السيد هاشم العلوى .
- ٦ - سيدى الحاج محمد أبو قرعة .
- ٧ - سيدى الشيخ عبد المنعم بن أحمد بن سلامه .

١ - القطب الوارث سيدى محمد بن المختار التجانى الشنقيطى رضى الله عنه

هو سيدنا السيد محمد بن المختار بن عبد الرحمن أفلج الشنقيطى - وشنقيط بالمغرب الأقصى - ولد رضى الله عنه فى مدينة تشيت وتربى بها وقرأ فيها ، وحفظ القرآن قبل البلوغ بكثير ، ثم قرأ ما يسره الله له من العلم ، وهو شريف أباً وأماً حسنى النسبة ، ووالدته تسمى فاطمة العالية أى الشريفة ، وتربى أبوه وأمه على سيدى المختار الكنتى ، وكانت أمه عالمة فقيهة ، أخذ عنها الحديث والعلم ، وكانا من أولياء الله عز وجل ، وبشر والدته بعض الأولياء وهى حامل به : إن فى بطنك غلاماً هو أعلى مقاماً منك ومن والده ، قال رضى الله عنه : وكنت أتعجب غاية العجب حتى أخذت طريقة شيخنا رضى الله عنه ، وأخذ عن نحو من أربعين شيخاً ممن أخذ عن الشيخ ، ولكن أكثر انتمائه إلى سيدى محمد السقاف المتقدم رضى الله عنه ، وقد انتفع رضى الله عنه بحاله .

وقد تتلمذ له سبويه زمانه الشيخ سعد الدين الفلاتى تلميذ سيدى الشيخ محمد بلو مع كشفه وعلمه وولايته ، وكان قد عزم على السفر من المدينة المنورة فلما رآه وشاهد أنواره أخرج متاعه من المركب وصحب سيدنا سنة كاملة ، واجتمع سيدنا بصاحب منية المريد سيدى التجانى بن باب الشنقيطى ، وحببه فى الله سيدى المختار بن تكرر عليهما الرضوان ، وأقاموا سنة بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتا فدفنهما ، وأجازه فى الطريق الشيخ الصالح بن أحمد المدنى بالمدينة سنة ١٢٦٢ هـ بالإجازة الكاملة .

وساح كثيراً فى البلاد تارة بالتجارة وتارة بغيرها ، وكان يسافر بأهله وحاشيته ومعهم الخيام العظيمة الفاخرة ، ينزلون حيث شاء الله فيدعو الناس إلى كرمه ، ويعلمهم العلم ، ويعطيهم الطريق وكان من يراه لا يظنه إلا ملكاً عظيماً ، والله ما فيه هو خير من ملك الأرض كلها ، وكانت له خيمة كبيرة خاصة بكتبه رضى الله عنه ، وقام بالسفارة بين سلطان دارفور وبين الباب العالى بالآستانة ، ولقى سعيد باشا الخديوى بمصر كما ذكر لى ولده القاضى سيدى السيد ابراهيم رحمه الله تعالى ، وأعطاه طريقة شيخنا رضى الله عنه ، وكذلك عائلة خشبة المعروفة

بأسيوط ، وكثيراً من أعيان القطر المصرى إذ عاينوا من كراماته ما بهرهم ، وأباح له سعيد باشا أن يأخذ من مكتبته ما شاء من الكتب ، ففعل ، فكان لديه مكتبة عظيمة يضرب بها المثل ، وجعل لها بيتاً خاصاً ، وأتقن نحواً من ثلاثين لغة ، وأما اللغات التى كان يخالط أهلها فى الكلام فكثير ، وكانت الطيور والوحوش تألفه ولا تفر منه ، كما حكى من شاهد ذلك معه فى السياحة ، وكان كثير البكاء والتضرع والابتهاال تكاد تذهب روحه من خوف الله تعالى ، لا يستطيع أن يملأ جوفه من طعام ، ولا يستطيع أن يلبث ساعة من غير ذكر وفكر ، وكانت تتجلى له الحكمة الإلهية فى الكائنات ، وقد حكى رضى الله عنه أنه كان إذا مر بشجرة يلهم منافعها بمجرد وقوع بصره عليها .

وكان واسع الثراء غمر الناس برفده وأغرقهم فى بحار كرمه ، لا يبالي بدم الناس ولا مدحهم وكان يفر من الدنيا وهى تتبعه ، وخرج من جميع ما يملك مراراً ، وتجرد منها وهى تعود إليه ، مرة منها بدارفور مر على القبور فرأى حالة أهلها ورأى قوماً يعززون ويرقصون قريباً منهم ، فتولاه حال شديد ففرق ماله أجمعه وأعتق الرقيق كله وخير نساءه ووقع على الأرض منجدلاً سبعين صباحاً ، ومرة أخرى بدارفور أيضاً ، ومرة بمكة طلق الدنيا ولبس جبة مرقعة وصار يسقى الماء على كتفه لا يأخذ من أحد شيئاً ، ثم رحل إلى سواكن وتوطن فيها مدة وكان يغلب عليه الحال ، ثم سافر إلى بربر وتوطن بها مدة وظهر فضله وتوالت كراماته ، وكان بعكس مشايخ الزمان فإنه كان هو الذى يتولى الإهداء لتلاميذه ، وكان هو الذى يتولى خدمة نفسه وضيافته بنفسه ، وشوهدت البركة فى طعامه .

ومات له فى حياته أكثر من ستين ما بين ذكر وأنثى ، وتزوج ما ينيف على الثلاثين ، وأما السرارى فشئ كثير ، وترك عشرة أولاد وأربع بنات ، وكان يصلى التراويح اثنتى عشرة ركعة ويستدل بمحدث سيدتنا عائشة رضى الله عنها ، وكان يكره الأجر على القربات .

وحكى رضى الله عنه ، قال : مدة إقامتى بمصر كان الشيخ الباجورى يحبى كثيراً وينادىنى أقرأ له فى سرية الجيش لأنه كان مشغولاً بها حباً ، وكان يقول لى مداعباً : يا شنقوطى ، فسألته لأى شىء تقول لى يا شنقوطى ؟ فيقول لى : أنا أرفعك لا أخفضك .

وكان رضى الله عنه مثال التمسك بالكتاب والسنة ومكارم الأخلاق ، بلغ الذروة فى الشجاعة والكرم والعفة والعدالة ، ولئن زهد غيره ولم يملك ما يزهد فيه فلقد زهد رضى الله عنه وقد ملك ، وتخرج على يديه من أعيان العلماء والأولياء جمع كثير ، ومنهم العارف الكامل سيدى الشيخ طاهر الحيمادى رضى الله تعالى عنه سلك الطريقة الخلوتية والشاذلية وصحب سيدى السيد محمد عثمان الميرغنى ، وحج وسافر إلى صيبيا ببلاد اليمن ولقى بها سيدى أحمد بن إدريس ولازمه مدة ودخل نحواً من أربع وستين خلوة وقال له سيدى أحمد بن إدريس : فتحك على يد رجل من المغرب تلتقى به فى دارفور ، فسافر إليها ومكث بها يترقب ذلك الشيخ كما أخبره سيدى أحمد بن إدريس ، حتى جاء سيدى ابن المختار رضى الله عنه ، وقبل أن يفرغ من حط أحماله مر الشيخ طاهر الحيمادى بطرف البلد ، فناداه سيدى ابن المختار : يا شيخ طاهر يا حيمادى هلم ها أنا ذا الذى أخبرك به سيدى أحمد بن إدريس ، فأسرع فأخذ عنه الطريق ، وفتح عليه بمجرد المبايعة الفتح الأكبر ، فكان عجباً فى أحواله وكراماته ، وداره دار ولاية وكرامة ، وقد حدثنى بهذا سيدى السيد إبراهيم بن السيد عن الشيخ أبى أسية تلميذ سيدى ابن المختار ، وقد اشتهر أن بعض أصحاب الشيخ سلم على سيدى الشيخ طاهر وهو فى القبر فرد السلام رحمه الله تعالى ، وتوفى فى زمن الخليفة التعايشى ، وقبره معروف بأمر درمان تؤمه الزوار رضى الله عنه .

ومنهم العارف الغريق المتمكن سيدى الشيخ أحمد الهدى رضى الله عنه ، أخذ الطريق قبل أن يصحب سيدى محمد بن المختار رضى الله عنه ، وحصل له جذب شديد وهام فى الأقطار ، وكان يغلب عليه الحال فيفنى عن نفسه فيغشى عليه ويمكث فى غشيته وهو ملقى لا يأكل ولا يشرب ولا يفىق أربعين يوماً ، حتى صحب شيخنا السيد رضى الله عنه فأكمل تربيته ، وكان

إذا تكلم السيد فى الحقائق الإلهية بين كبار العلماء لا يزال الحديث يعلو ثم يعلو حتى يسمو على مداركهم ، فكان يقول : أما الآن فأنتم لا تفهمون ما أقول ولكن يفهمه هذا الجماد الجالس ، ويشير إلى سيدى أحمد الهدى رضى الله عنه وقد استولى عليه الحال ، فيظن الناظر إليه أن ليس به حياة ، وكراماته كثيرة وأعظم كرامة له أنه اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ، وأوصاه بتلاوة صلاة الفاتح ، وأمسك بذراعه فبقيت صورة القبضة الشريفة فى ذراعه ، قد رآها قوم كثيرون ، وقد لقيت بعض الثقات منهم بواد حامد وبالباसा تبع مروى ، وأما من بلغه ذلك من الثقات فلا نخصيه ، وكان إذا قدم يشم القوم رائحة زكية وهو على بعد فيعلمون أنه رضى الله عنه قادم وأن هذه رائحة القبضة الشريفة .

وقد زرنا ولديه سيدى الشيخ العباس والشريف محمد فى واد حامد ، وزرنا قبره وقد لقي ربه سنة ١٣٠١ هـ بدنقلة ودفن بمكانه الذى هو فيه الآن تبع مروى ، وكراماته معروفة فى حياته وبعد وفاته ، وإن شاء الله نكتب عنها .

ومنهم العالم العلامة والخبير الفهامة القاضى أحمد عبد الرحمن ، وكان شيخنا رضى الله عنه يعامله معاملة خاصة ويكرمه وينوه بشأنه ، قال : جلت المشرق والمغرب فما رأيت للقاضى أحمد نظيراً فى العلم والعمل ، وزوجه ابنته ، وقد اجتمعت بولده صاحب الفضيلة العلامة سيدى الشيخ المدثر حفظه الله تعالى ، وله تاريخ خاص نسأل الله أن يوفقنا إلى جمعه .

ومنهم الشيخ على ولد أحمد عثمان ، وكان بعض خاصة أصحابه يقول له : إنى أعرف أبا بكر ، ويشير إليه .

ومنهم الفقيه الشيخ عبد الرحيم كاتبه الخاص ، واللسان الناطق الذى كان يحسن التعبير عما يجب الشيخ أن يكتبه ، وكان الشيخ يقول عنه : كرتوب ، أى جراب ملآن جواهر ، وكان فانياً فى سيدنا رضى الله عنه ، فإن حم حم ، وإن مرضت عينه مرضت عينه ، ومن العجائب أن الشيخ أصابته شوكة ففى ذلك الوقت تصادف أن أصابت الفقيه عبد الرحيم شوكة كذلك ،

ومنذ اجتمع بالشيخ ترك أهله وتجرد عن الدنيا ولزم صحبته إلى أن توفى بعده يوم الاثنين ١٧ ربيع أول سنة ١٣٠٠ هـ .

ومنهم سيدى الشيخ أحمد هاشم ، وأولاده الشيخ محمد هاشم صاحب المقدمة فى مولد سيدنا ، والشيخ الطيب هاشم مفتى السودان ومؤلف ديوان الفيض الربانى فى مدح الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه ، والشيخ أبو القاسم شيخ العلماء بالسودان ومؤسس المعهد العلمى بأمر درمان ، وكلهم من خاصة أصحاب سيدى ابن المختار رضى الله عنهم .

ومنهم الفكى الحسن جامع ديوانه ووارداته وعلومه ومعارفه ، حدثنى سيدى السيد محمد بن السيد محمد بن سيدى محمد بن المختار أن الفكى الحسن قال : لما دفنوا شيخنا السيد وكنت قد سمعت منه فى حياته أنه قال : الذى يقرأ على صلاة معراج الحضرات عند موتى هو وارثى ، فلم يتذكر أحد قولة سيدنا غيرى فيما أعلم ، فقرأتها مرة عند احتضاره ومرة عند القبر .

وقد ثبت على الطريق كالجبل الراسخ ، ولما دنت وفاته سافر إلى سيدى السيد إبراهيم ابن سيدى السيد وكان قاضياً بأبى حمد ، وقال : إننى جئت لأموت عندك ، وكان كذلك وتوفى سنة ٣١ هجرية وسنة ١٩١٣ شمسية .

ومنهم العلامة العارف الأمير الشيخ محمد الخير عبد الله خوجلى ، وبيتهم بيت علم وقراءة ، وحصل له الفناء بصحبة شيخنا رضى الله عنه ، حتى كان فى بعض شطحاته يقول قول أبى اليزيد والصوفية من أهل السكر ، ولكن انتهى إلى الكمال بعد ذلك رضى الله عنه ، وفى السنة الماضية تشرفت ديارنا المصرية بولده سيدى الشيخ عثمان القاضى ، ومازال بمصر .

ومنهم الشيخ محمد خير الدوش ، وشيخ الإسلام الشيخ أحمد البدوى شيخ العلماء ، والشيخ أحمد الأنصارى وكان من جلة العلماء ، والقاضى الطاهر شريف ، والشيخ عبد العاطى بن الحسن ، والشيخ حامد الكنانى ، وعائلة خليفة العبادى وبعضهم بدر او مديرية أسوان ، وعائلة أبى قصيصة ومنهم الشيخ واد مليح والشيخ محمد أحمد الريح وهو من أهل الدين الكبار

الصالحين ، والشيخ حسين عوض السيد النفيعباى ، والشيخ عباس أحمد عبد الماجد ، والشيخ عبد الماجد الغبشاوى وصيه على أولاده وصهره ، والشيخ الحسن سعد العبادى .

ومنهم الشريف حسين المدفون فى أبى زيد وقد اشتهرت ولايته ، وقد كان السلطان حسين سلطان دارفور من أصحابه وكان يلاقيه على مسافة بعيدة بجنوده ، وقد شاهد المدهشات من كراماته .

ومنهم ولده حساً ومعنى سيدى السيد إبراهيم ، وقد اجتمعت به رضى الله عنه سنة ٥٣ هـ بالسودان المصرى ، وزرنا سيدنا ابن المختار رضى الله عنه ، ولقد لقيت من كراماته رضى الله عنه ما يقر عين كل محب صادق ، ولنعم الرجل الصالح السيد إبراهيم ، ولقد كان ذا حال عجيب ، صادق التوكل على ربه ، يتفجر من جوانبه الحق فى الله عن الله ، مع علم وفهم وذوق وصدق فراسة وتواضع ، توفى فى جمادى الثانية هذا العام رحمه الله تعالى .

وكذلك قد اجتمعت بالسودان سنة ١٣٥٣ هـ بصاحب الحال الصادق المنوح ، الجامع بين البحرين ، والشارب حتى روى من العينين سيدى الشيخ الحاج المدثر إبراهيم الحجاز ، وكنا اجتمعنا به سنة ٤٦ هجرية بالحرم المكى الشريف ، وقد حدثنى أنه اجتمع بسيدى ابن المختار وطلب منه تجديد الإذن فى الطريق ، فقال له : جددت لك مت عليها ، وهو من خاصة الخاصة من أصحاب سيدى الحاج أحمد سكيرج الذين لهم أرفع مكانة عنده ، وهو كثير الوفود على بيت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ومُنح ما مُنح رضى الله عنه ، وحفظه الله تعالى ، وأهله أهل خير .

والكلام فى من تربي على يده كثير ، وقد أفرد الكثير منهم بتراجم مخصوصة ، وقد أفردت ترجمة سيدى ابن المختار فى مؤلف خاص وبه بعض كراماته العجيبة جمع الفقيه الحسن تلميذه رحمه الله ، وقد اكتفينا بشهرة كراماته عن ذكرها ، ويرجع من أرادها إلى كتاب تلميذه .

وقد ألف ديوان مدح عربى طبعناه ، وآخر بلسان أهل السودان ، وألف مولد إنسان الكمال صلى الله عليه وسلم وهو مشهور ، وله كتاب الواردات وهو الكتاب المدهش الذى فيه من

علوم الحقيقة والكشف عن أسرار المعارف العالية الدقيقة ما لا يصل إليه إلا خواص الكمل من أولياء الله رضوان الله عليهم ، وسنطبعه إن شاء الله تعالى .

وأقام رضى الله عنه بجزيته قرب القوز التابعة لشندى بالسودان المصرى ، وتوفى بها ظهر الأحد ١٧ شوال سنة ١٢٩٩ هـ ، بعد أن أمر بالقبر أن يحفر والكفن أن يخاط وهو حى ، والعارفون من أصحابه يرون أن سبب موته شدة المحبة ، وكان لا يفتر من موالاة المديح ليلاً ونهاراً ، ودفن شرقى النيل كما أمر رضى الله عنه ، ولا يزال بيته فيه الخير والولاية إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى رضى الله عنه ، ونفعنا الله به ، آمين .

٢ - سيدى الحاج هو أبو مدين العقبانى التلمسانى رضى الله عنه

بحر الولاية الخضم ، وسر الخصوصية الأعم ، المتخلق بالأخلاق الحمديّة ، المتشح بالكمالات الأحمديّة ، المستتر عن الخلق بثياب التواضع ، وقد ظهرت آثار تربيته كالنجوم اللوامع . وكانت له تجارة فى الفحامين ، وهو الذى رتب الوظيفة بالزاوية التجانية بالجوادرية أواخر القرن الماضى ، وكان موضع ثقة الناس ، كريم الشيم ، متواضعاً صالحاً دائماً على أداء الواجبات الشرعية ، كثير الذكر ، كثير الجود والإحسان ، كثير البكاء يبكى لأقل مخالفة يراها للشريعة ، براً رحيماً .

وقد أخذ عن سيدى الطاهر أبو صبية التلمسانى صاحب الشيخ ، وقد ترجم له فى كشف الحجاب .

وكان سيدى الحاج هو حبيب سيدى البشير الزيتونى رضى الله تعالى عنهما ، وكان يشهد له بالكشف ، ويجله ويتأدب معه مع أن سنه أصغر من سن سيدى البشير ، وكان موضع ثقته فى الدين والطريق ولذلك طلب لأحد تلاميذه الإذن فى التقديم منه ، فكتب لسيدى البشير إننا جعلناك خليفة عنا وجعلنا فلاناً خليفة عنك .

وكان يحتفل بمولد الشيخ سيدى أحمد التجانى فى نصف شعبان ، وينفق فيه نحواً من ستين جنيهاً ، ومازال قائماً بشئون الطريق إلى أن توفى بالقاهرة يوم السبت ٢٧ شعبان سنة ١٣٢٥ هجرية عن سبعين أو خمس وسبعين سنة ، ولم يعقب سوى بنت واحدة مازالت فى قيد الحياة رضى الله عنها .

٣ - سيدى أحمد كلا بنانى رضى الله عنه

شيخ مشايخ عصره ، أخذ عنه شيوخ الإسلام والعلماء الأعلام ، قال سيدى الحاج أحمد سكيرج حفظه الله : " فقيه عصره ووحيد مصره ، شيخ الجماعة فى زمانه ، وفريد عصره وأوانه حامل لواء المعقول والمنقول ، ومن إليه المرجع فى الفروع والأصول ، أبو العباس سيدى أحمد كلا ، لازالت تمطر قبره رحمات المولى ، كان رحمه الله صغير السن فى حياة سيدنا رضى الله عنه وكان مع أخيه عند سيدنا رضى الله عنه - أبو على سيدى الحسن - فى عين محبة ووداد ، ولما توفى سيدنا رضى الله عنه كان سنه نحو الاثنتى عشرة سنة ، ولازال فى صيانة وعفاف متخلقاً بشيم أفاضل الأشراف ، طالباً للعلوم بين الخصوص والعموم ، حتى تقلد من الفنون بخير قلادة فتصدر للتدريس والإفادة ، أخذ عنه جل شيوخنا ، وكان رحمه الله فى هذه الطريقة المحمدية من أفاضل المقدمين ، كثير الذكر والتلاوة ، عاكفاً على نشر الطريقة وأورادها ، وقد أخذ الإذن فى ذلك عن جملة من أفاضل المقدمين فى الطريقة ، منهم البركة الأجل سيدى الحاج عبد الوهاب بن الأحمر رحمه الله ، ومنهم العارف الكبير والمولى الشهير الشريف الجليل القدر مولاى محمد بن أبى النصر رضى الله عنه .

وكان خزانة سر ابن سيدنا سيدى محمد الحبيب رضى الله عنه حين ذهب لعين ماضى لزيارته ، ولازمه شهوراً إلى أن توفى سيدنا الحبيب رضى الله عنه ، وغسَّله صاحب الترجمة بيده ووقف على دفنه مع من حضر ، وقد حدثنى بعض الأفاضل أن صاحب الترجمة لما ذهب لعين ماضى وأراد الرجوع بعد كمال الزيارة رأى سيدنا الحبيب رضى الله عنه رؤيا وأولها مجلول وفاته ، فحبس صاحب الترجمة ولم يتركه لبلده حتى توفى رضى الله عنه ، ولقد شاع عند جل الأصحاب أنه ما حبسه إلا ليحضر وفاته ، والله أعلم .

وكان رحمه الله مسموع الكلمة بين جماعة الإخوان ، يُقصد لأخذ الطريقة والعلوم من كل مكان ، ملازماً للزاوية فى غالب الأوقات ، وكان يمشى بقائد يقوده لما أصيب فى بصره فى كبره ، مُعظماً عند كل كبير وصغير ، يتبرك به كل من رآه فى الجلوس والمسير ، ولازال ذا جد

واجتهاد في طاعة الله أثناء الليل وأطراف النهار و نفع العباد ، إلى أن توفي رحمه الله قرب شروق يوم الجمعة ثامن جمادى الأولى سنة ١٣٠٦ هـ وصلى عليه بجامع القرويين بعد صلاة الجمعة ، ودفن بقباب باب الفتوح رحمه الله تعالى .

وكان والده الشيخ الإمام العلامة الهمام حامل أسرار سيدنا رضى الله عنه الفقيه الأجد أبو العباس سيدى أحمد بن محمد بنانى ، الذى كان إليه المرجع فى المعقول والمنقول ، وكان عند سيدنا رضى الله عنه بمكانة عظمى وله عنده المقام الأسمى ، وكان يغار منه كثير من أصحاب سيدنا رضى الله عنه ، وكان سيدنا رضى الله عنه يقربه إليه من الوقت الذى أخذ طريقته الأحمدية ، ويسأل عنه إذا لم يره حاضراً فى جمع الإخوان ، وكان رضى الله عنه يعجبه حديثه وكلامه ، وإذا حصل له انقباض يرسل إليه فيأتيه ويتحدث معه ويقول له سيدنا رضى الله عنه : ماذا يقول المفسرون فى آية كذا وفى آية كذا ، فيتكلم صاحب الترجمة بما قاله المفسرون فى ذلك ، فيصوب له سيدنا رضى الله عنه كلام بعض ، ويرد كلام من لا يصادف الصواب منهم مع بيان وجه الحق فى ذلك بالأدلة النقلية والعقلية ، ويقول له سيدنا رضى الله عنه : وهذا غاية ما يقوله المحققون من علماء الظاهر ، وأما باطن الآية فهو كذا وكذا .

وكذلك يتكلم معه فى الأحاديث الشريفة على هذا المهيح ، فلا يقوم صاحب الترجمة من عند سيدنا رضى الله عنه إلا ومعه من العلوم ما يذهل العقول ولا يصل إليه إلا أكابر الفحول وكان من خصائص صاحب الترجمة أنه لا يسمع شيئاً إلا حفظه ، ولا يعرف النسيان لما أعطاه الله من الثبات والحفظ المتقن ، كما حدثنى بذلك حفيده الفقيه السيد عبد السلام ، وكان سيدنا رضى الله عنه يخاطبه بلفظ السيادة ، وإذا صار يتكلم معه يتعجب الحاضرون مما يبيده إليه من المعارف مع فهمه لها .

ومن جملة فوائده ما حدثنى به حفيده المذكور أنه سأل سيدنا رضى الله عنه عن ثواب الأعمال إذا أهداها شخص لآخر ووقع من المهدي إليه شئ من محببات الأعمال أتجبت له تلك الهبة ؟ فأجاب رضى الله عنه بقوله : لا تجبت الهبة للموهوب له إذا ارتكب شيئاً من محببات

الأعمال غير الشرك بالله ، لأن الهبة ليست من أعماله ، إنما تحبب إذا حبب عمل الواهب " انتهى.

وقد لقب سيدى أحمد بنانى كلا لكثرة جريان هذه اللفظة على لسانه ، وهو يروى عن أبى عبد الله محمد الوليد بن العربى العراقى عن الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران ، وأبى الفيض حمدون بن الحاج السلمى المرداسى ، وإدريس بن على زين العابدين العراقى ، ثلاثهم عن محمد التاودى بن الطالب بن سودة المرى وأسانيده مذكورة فى ثبته ، وهو من مشايخ الشيخ الأمير الكبير المصرى الذين يروى عنهم فى ثبته المطبوع .

ويروى أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمن المذكور عن الشيخ المحدث أبى الفيض السيد مرتضى الزبيدى وأسانيده مشهورة مسطورة فى أثباته المتعددة .

وعندما قدم إلى الحجاز سنة ألف ومائتين وتسعين وأربع للهجرة مر بمصر ، وأخذ عنه مشايخ الإسلام وفحول العلماء وأكابر الأولياء بمصر والحجاز والمشرق ، من بين آخذ عنه الحديث أو الطريق أو التقديم فيها ، غير أن بعض من أخذ عنه الطريق من العلماء ظن أن ما اشترطه عليه فى هذه الطريقة من الانفراد بها شرط كمال لا يلزم به السالك ولذلك لم يتقيد به ولو رجع للشيخ فى ذلك لأعلمه أنه شرط لازم يتوقف سلوك هذه الطريقة عليه ولا يصح بدونه ، لأن الشيخ الأكبر نص على ذلك ، كما نص عليه أكابر أهل التربية فى سائر الطرق رضوان الله عليهم ، وأهل كل فن حجة فى فنههم وهم أعلم بالشريعة والحقيقة من غيرهم ، وعلى هذا فلا يكون الإذن الصحيح قد سرى لمن لم يسلك هذه الطريق على هذا الشرط ، فلا يتحقق بما فيها من الخصوصية ، وليس له فى أذكارها إلا الفضل العام لا الفضل الخاص .

ومن أخذ عنه الطريق على شروطها العلامة الشيخ سالم البولاقى أحد أفاضل علماء الأزهر الشريف ، وسيدنا الشيخ أحمد السباعى وأخذ عنه الإذن بإعطاء الأوراد كما حدثنى بذلك ، والشيخ عبد الشكور باشا وهو من عظماء السودان الذين أمرتهم الحكومة المصرية بالإقامة فى مصر ، وقد توفى بأسىوط واجتمعت به سنة ٣٦ هجرية ، وحدثنى الأخ الفاضل الشيخ مكى

محمد مكي رحمه الله تعالى أن الباشا حدثه أنه بمجرد أخذه الطريقة عنه فتح عليه فكشف له عن مشارق الأرض ومغاربها ، وكان ذلك بالزاوية التي يرأسها سيدي الحاج حمو العقباني بالجودرية بمصر ، وقد انتفع به العلماء في عصره ، وزوايته مشهورة رضى الله عنه ، آمين .

٤ - سيدى البشير بن سيدى محمد الزيتونى رضى الله عنه

ولد رضى الله عنه بتونس حوالى سنة ١٢٢٥ هجرية ، وهو شريف حسيني أباً وأماً ، وكان والده من رجال الحكومة فى فاس ثم انتقل إلى تونس وأقام بها ، وكان من خواص أصحاب شيخنا رضى الله عنه ، وكان مع ولايته بجرأ فى العلم الظاهر ، وجاءه بعض علماء تونس يمتحنونه فى آية (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)^(١) فمكث فى لفظ منها أياماً عدة وهو يشرحه ويبدى فيه من علوم غيب الغيب ما بهرهم ، وقربه إليه حاكم تونس وولاه رتبة سامية ، وأما والدته فقد كانت من الأكابر ، ولما حضرتها الوفاة دمعت عينها فأخذ يصبرها ، فقالت : يا بنى ما أنا جازعة ولكن لا أرى لك أولاداً يعيشون ، ثم قالت بعد : ولكن رأيت ما لا يحصى من تلاميذك .

ولما بلغ سيدى البشير الخامسة عشرة من عمره أدخله والده الخلوة ثم أخرج منه فاراً من الخلق ، فحزنت والدته بذلك ، فقال له والده : اصحب الخلق لينتفعوا بك ، وزوجه ابنة عمه ، ثم قال : رح إلى سيدى إبراهيم الرياحى ، وكان إذ ذاك شيخ الإسلام بالديار التونسية ، وقال له : استأذن والدتك واذهب إليه يوم الأربعاء ، فاستأذنها ، وحرصاً على الخير ذهب يوم الاثنين فوجده فى خلوته ، فقال له سيدى إبراهيم : أوالدك بعثك إلينا بعد ما صفاك ؟ وهل يترك الناس البحر ويأتون للخليج ؟ فقال : إن سيدى هو الذى أرسلنى إليك ، ثم قال له : خذ بيدى إلى الله ، فقال شيخ الإسلام : عد يوم الأربعاء ، فعاد فى ذلك اليوم ، فسأله : هل استأذنت والدتك ؟ فقال : نعم ، فأعطاه الطريق وتولى تربيته ، ثم مكث ماشاء الله ، وقدمه لإعطائها .

ثم تآقت نفسه للحج والزيارة ، فاستأذن والده ، فأذن له وأعطاه سبعمائة ريالاً ، وقال له عنها : لا أسأحك حتى تنفقها فى طلب العلم ، وأمره بمطالعة مذهب الإمام مالك رضى الله عنه ، وأمره بطلاق ابنة عمه ، فقال له : سيدى إنى مززع الرجوع ، فأمسك بناصيته وقال : يا

بنى اللقا يوم اللقا ، هذه ناصية كتب عليها سفر طويل وستزوج نساء كثيرات ، ففعل ، وكتب للشيخ عlish يوصيه به ، فسافر متوكلاً على الله ماراً بطرابلس ومصر ولقى بها الشيخ عlish وصحبه مدة ، ثم استأذنه فى السفر للحج فأذن له وكتب لشيخ المالكية بمكة يوصيه به ، فنزل عنده .

وأقام بالحجاز أربع سنوات ، وأنفق فى حضور العلم المال الذى أعطاه والده ، واجتمع فى المدينة المنورة بسيدى عمر بن سعيد الفوتى رضى الله عنه ، وتوثقت عرى الصداقة بينهما ، وقال له سيدى عمر : إنى سأكون ملكاً بالسودان وتزورنى ، فقال له : وبأى شىء ؟ لا مال ولا رجال ، فقال : إن شاء الله سأخذ الملك بالسر وستزورنى وأنا ملك ، وثبت أن سيدى عمر كان بالحجاز سنة ١٢٤٥ هـ وتلاقيا فى سنة ١٢٤٦ هـ أو سنة ١٢٤٧ هـ .

وسافر إلى اليمن وأعطى الطريق ، وبنى بها زاوية ، وخلف بها خليفة وأمره أن يخلف أخاه عند الكبر ، ثم عاد إلى مصر وصحب الشيخ عlish تسع سنوات يحضر عليه العلم ، ثم سافر سائحاً يعبد الله ويتجر إلى أن وصل بلاد سيدى عمر بن سعيد الفوتى بالسودان الغربى ، فوجده قد تولى الملك وأقام معه مدة ، ثم عاد إلى السودان الشرقى جنوب مصر ، وأخذ يتاجر فى ريش النعام وغيره حتى كان لديه إحدى عشرة ألف جنيه ، وكان ديدنه إذ ذاك أن يسأل الله عز وجل أن يحفظه من فتن الدنيا .

وعزم على الرجوع إلى مصر فضل الدليل الطريق ، ومكثوا أربعين يوماً ، وكانوا كلما عطشوا ذبجوا جملاً وشربوا ما فى جوفه من الماء ، وتركوه بما عليه من أموال ، فهلكت الأموال وماتت العبيد ولم يبق معه إلا عبد واحد وهجينه الذى يركبه ، قال الشيخ : فتمت فرأيت رجلاً أبيض الوجه نظيف الشبية ، فقال لى : يا بشير لا تحزن قم والحق الدليل وبشره وقل له : إن الدرب أمامنا فى مجرى الغزال ، فاهتدوا إلى الطريق ، وتاجر حتى اجتمع عنده ألف جنيه ، وعاد إلى مصر ، فمرض ببطنه فصرفها فى مرضه .

ثم عاد إلى السودان وتزوج بأم ولده السيد محمد رحمه الله تعالى الذى ولد فى سنة ١٢٨٣ هـ وكان أبوها له ست عشرة ساقية وكان رجلاً كريماً ، وقال رضى الله عنه : عندما خلفت محمداً ولدى كنت أملك أربعة آلاف جنيه واثنى عشر عبداً وثمان عشرة جارية .

وقد وقع له فى السودان عجائب ، وأسلم على يده كثير من الكفار ممن لم تبلغهم الدعوة ، وبني عندهم مسجداً ، وأعطى الطريقة التجانية فى الخرطوم ، وقدم بها أربعة ، وفشت الطريقة فغار بعض أهل الطريق منه وأرادوا إيذائه ، فوفاه الله شرهم ، وظهرت كراماته .

ثم عزم على التجرد والرجوع لمصر فقيراً ، فلما وصلها لقي أحد التجانيين يجيد صناعة الغرزة ، فتعلمها منه لكونها ليس فيها شبهة ، وكان ذلك بأمر باطنى ، ثم رزقه الله شيئاً من المال اشترى به بلعاً ، وأقام فى أبى كبير شرقية يتجر بها ، وكلما فرغت منه البضاعة يسافر إلى القاهرة فيمر بتلبانة ويبيت بها ، وعرفه الشيخ حسن خضر أبو حماد وكان إذ ذاك شيخ البلد ، واستمرت الصحبة إلى ولده الشيخ خليل العمدة وأهله جميعاً ، وطلب أن يقيم ببلده ، وأقام ببلييس مدة وكان يتجر فيها وفى شلشلمون ومشتول وبردين وتلك الجهات ، ثم انتقل إلى تلبانة قرب سنة ١٢٩٤ هـ وتزوج بها ، ثم أراد الرجوع إلى تونس وكان قد بلغه خبر وفاة والده فطلب منه القنصل الفرنسى أن يأخذ حماية ، فقال : أنا لا آخذ إلا حماية ربى ، وكان أهله أرسلوا إليه أربعمئة ريال ، فقال القنصل : هل أردتها ؟ فقال : نعم والله لا أستظل تحت ظل كافر ، فردها وكتب لتونس أنه أسقط حقه لباقى الورثة .

ثم سافر للحج وأقام بمكة ثلاث سنوات ، وكان يزور المصطفى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكان يريد ألا يبارح جوار البيت الشريف ، ولكنه أمر بالرجوع إلى مصر لتربية الخلق ، فرجع إلى تلبانة ، وانتشرت الطريق على يده ، واشتهر أمره وظهرت كراماته ، وكان عارفاً ربانياً حكيماً قدسياً ، له النفس العالى والفضل السامى ، متواضعاً عزيزاً مستوراً شهيراً ، قال عنه العلامة الشيخ أبو عسكر : كأنما ربى فى حجر نبى .

وكراماته منتشرة يتحدث بها الكبير والصغير ، فمنها ما حدثنا به الرجل الثقة الصالح الشيخ حسن قرقر من بردين شرقية ، أنه اجتمع بالخضر وأسر إليه أربع كلمات وأمره بكتمانها ولم يخبر أحداً بذلك قط ، فبعد ثلاثين سنة لقيه سيدى البشير فسلم عليه ، وقال له : هنيئاً لك ، إنك قابلت الخضر وساررك بأربع .

ومنها ما حدثنى به عمدة تلبانة الشيخ عبد الحميد خليل حمام أن والده - وكان صديق سيدى البشير - استشاره فى أن ينقل ولده أحمد أفندى خليل ، وكان كاتباً بمرتب مائة وخمسين قرشاً بدائرة الأمير إبراهيم حلمى إلى الدائرة السنية بأضعاف ذلك المرتب ، فقال له : لا تفعل إنه سيكون باشكاتب الدائرة إن شاء الله تعالى أما الدائرة السنية فليس هناك دائرة سنية وها أنذا قد ختمت لك ، ثم تحقق ذلك كله بعد وفاة سيدى البشير ، فصار باشكاتب الدائرة وألغيت الدائرة السنية ، وهو الآن فى هذه الوظيفة .

ومنها أنه كان يخبر من رأى رؤيا من أصحابه بما رأى ، ومن ذلك ما حدثنى به تلميذه وحبيبه الشيخ محمد سلامه ، أن رجلاً رأى النبى صلى الله عليه وسلم شرب ثم أعطاه فضلته فأعطاه لغيره ، ففى الصباح قال له : هو كان قال لك أعط غيرك ؟

وطلب أحد أصحابه من أخيه إعانته ، فقال له سيدى البشير : وهل صرفت الجنيهاً الثمانية التى خبأتها فى الحائط ، ولم يكن أحد يعرف ذلك ، وكثيراً ما كان يتكلم على الخواطر منها أنه خطر على قلب تلميذ له أن يتزوج زوجته بعد وفاته ، فنظر إليه فى الحال وحدثه بذلك .

ومن غرائب كراماته أنه كان جالساً بين أصحابه فصاح وقال : يا لطيف يا لطيف يا لطيف وصار يشير ، فسأله أصحابه عن ذلك ، فقال : إن أحاكم أبو عثمان عمدة العدلية خرجت عليه اللصوص وضربته ولكن الله سلم ، وكان فى بلدة أخرى ، ثم ذهبوا فألفوا ذلك الرجل وقد ضرب ضرباً مبرحاً ، فقال له سيدى البشير : احمد الله قد حملت عنك الضرب ، وكشف ذراعيه

فإذا بالضرب ظاهر عليهما ، ومن يعرف سعة دائرة الروح لا يتوقف فى ذلك ، ولا عبرة بجهل الأغبياء .

ومن كرامات تلميذه عبد الحميد سلامه ، أنه اشترى خروفاً من السوق وكان مريضاً فأتعبه ، فسأل الله أن يريجه منه ، فما استتم دعاءه حتى جاءت بنت الحاج على المقدم وكانت راكبة فحملته عنه ، فقال : يا رب أنا أيضاً تعب ، فما استتم دعاءه حتى رأى نفسه فى البلد ، وجلس مدة مع أخيه الفقيه سيدنا الشيخ محمد سلامه ، حتى جاءت تلك السيدة فقالت : من أين جئت يا شيخ عبد الحميد ؟ فقال : من هنا ، وكان إذا قرأ وردة فى الظلام يضاء المكان الذى هو فيه ببركة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وله كرامات أخرى ، حدثنى بذلك أخوه سيدى الشيخ محمد سلامه .

وقد أعطى سيدى البشير الإجازة لسيدى الشيخ محمد مذكور - من طصفا دقهلية - مطلقة يعطى كل شؤون الطريق ولا يقدم لإعطائها أحداً ، والسيد محمد البغال الكبير ، والشيخ عبد الجليل فخر من بليس ، والشيخ محمد العتيق من العدلية .

وكراماته مستفيضة ، وقد أفردت ترجمته بالتأليف ، وتوفى بتلانة شرقية يوم الأحد ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ هجرية ، رضى الله تعالى عنه ، آمين .

٥ - سيدى أبى محمد السيد هاشم العلوى رضى الله عنه

الولى الصالح ، الجاد فى عبادة ربه وإرشاد خلقه ، صاحب الحال الصادق ، والخلق الكريم ، العابد الزاهد .

أخذ الطريق عن سيدى عبد الوهاب بن الأحمر الفاسى صاحب سيدنا رضى الله عنه ، وأخذ التقديم عن سيدى محمد الصغير ، وجاء وسيدى الحاج هو العقبانى موجود بمصر ، وكان ملازماً للزاوية بالجودرية ، وقال عنه سيدى البشير : إنه أعطى سعادة الدنيا والآخرة ، فقد كان كل وقته مشتغلاً بالعبادة .

ولما سافر سيدى البشير إلى الحج ومكث ثلاث سنوات ، قال بعض الناس : إنه قد مات ، فتوجه والده إلى مصر وأخبره بتلك الإشاعة ، فذكر له بطريق الكشف أنه بخير لم يصبه سوء . وأوصاه سيدى البشير على بعض تلاميذه قبل سفره إلى الحج ، فبينما كان ذلك التلميذ جالساً معه وهو يصلى دخلت إحدى بنات المغاربة ، فتمنى التلميذ لو تزوج بها ، وكان سيدى السيد هاشم قد فرغ من صلاته ، فقال وهو ملتفت إلى القبلة : أناخذ بنات الناس نضحك عليها ! ، وكان يقول : الحمد لله الذى أعطانا البصيرة ، وقبل وفاته بعشرة أيام قال لسيدى الحاج هو : بعد عشرة أيام سأذهب إلى المدينة المنورة إن شاء الله ، وبعدها بيومين قال : بعد ثمانية أيام ، فمازال كذلك إلى أن قال : بقى يوم واحد ، وتوفى فى اليوم الذى عينه بالقاهرة حوالى سنة ١٣١٥ هـ ، ودفن بها رحمه الله ورضى الله عنه .

٦ - سيدى الحاج محمد أبو قرعة رضى الله عنه

الحاج محمد راجلين أبو نديفة ، أصله من دار صليح تبع واداي برقو ، وحج وزار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ثم سافر إلى بيت المقدس ، وجاء بالبر إلى الإسماعيلية بصحبة أخيه عبد المجيد ، وتوفى أخوه بها ، وسافر هو إلى الأزهر فمكث به اثنتى عشرة سنة ، وصحب الشيخ عليش وأخذ عنه العلم ، ثم سافر إلى دنقله العرضى بالسودان وتزوج بها ، ثم حج مرة ثانية ورجع بزوجه وابنته ، فأقام بإسنا مدة ، ثم انتقل إلى أسوان فأقام بها خمسين سنة ، وكان مجاب الدعوة مشتغلاً بالقرآن وتعليمه ، وكان إذا طلب أحد منه أن يدعو له بشئ قال له : انوما تريده وتوكل على الله ، فيعطه الله ما نوى ، وتوفى بأسوان يوم الثلاثاء ١٨ شعبان سنة ١٣٥٠ هجرية ، وسنه مائة وسبع وثلاثون سنة ، وهو فى صحة جيدة ، وترك بنتاً .

وأخذ الطريق والتقديم من سيدى محمد السقاف المتقدم رضى الله عنه ، وأخذ قبله عن الشيخ حامد عبد الله من برنو رضى الله عنه ، آمين .

٧ - سيدى الشيخ عبد المنعم بن أحمد بن سلامه رضى الله عنه

أصله من نجع الطويل من جهة السلامية تبع أرمنت مديرية قنا ، وعمر طويلاً كما أخبرنى ولده والكثيرون ، وسافر أقطاراً كثيرة وصحب سيدى محمد الغالى رضى الله عنه ، وأخذ عنه بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ثم انتهى إلى سكنى السودان المصرى ، فجاء الخرطوم وهى قليلة العمران ، وأقام بأمر درمان مدة ، وكان فى أول أمره يكتنم طريقته ويتظاهر بخدمة بعض المتصدرين لنشر دعوة الطرق الأخرى ، واضطهد بعض رجال الطريق وقتلوا ، وأراد الله أن يدخره لنا رضى الله عنه ، فقد ألحق المتأخرين بالمتقدمين والصغار بالكبار وكان صادق الكشف كما أخبرنى جمع من صحبه ، منهم الرجل الصادق الشيخ عمر عبد الله عيساوى الفلاتى الطالب بالأزهر الشريف أنه لما زاره بجهة أم شحيط وكان فى متاعه دواء له فائدة خاصة لا يعلم به أحد ، فقال له سيدى عبد المنعم : اذهب فأتنى بالشئ الفلانى من متاعك ، فجاءه به ، وكراماته كثيرة مشتهرة ، وأقام أخيراً بجهة أم سعدون تبع مركز باره السودان وتبعد عن الأبيض ثلاث ساعات بالسيارة .

وفى يوم الأحد ١٦ شوال سنة ١٣٥٣ هـ سافرنا إلى سيدى عبد المنعم فى جمع من خاصة الأحباب ، أذكر منهم سيدى الشريف الحاج محمد طه كبير السادة التجانية بالأبيض ، والعلامة الفاضل الشيخ عبد الباقي أبو ، وإخواننا الصادقين الشيخ فضل الله آدم ، والشيخ أبو زيد هلال والشيخ خليل عكاشة ، والشيخ حجازى وكان دليل الركب ، والشيخ بشير الفكى ، والشيخ موسى ، ورجلاً من الحضور ، والشيخ إسماعيل أبو القاسم ابن شيخ الإسلام المرحوم الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم وكان مرافقى من أم درمان ، والأخ عثمان أفندى سلامه أحد موظفى الأبيض ، وكان يقود إحدى السيارتين فتى يسمى محمد خليل والسيارة الأخرى كان يقودها رجل آخر .

فوصلنا حلة أم سعدون التى بها سيدى عبد المنعم ، واجتمعنا به ، ورأيناه نائماً على سرير من الجريد ، وقد بلغ من الكبر عتياً فهو جلد على عظام ولكنه ضخم المبنى ، وقد كف بصره

وضعف سمعه ، فكنا نرفع أصواتنا حتى نسمعه وصوته جهورى شديد ، وكان يداعب أصحابه ويأسطهم ، وهو حاضر الذهن ، قوى الذاكرة ، عظيم الهية ، خبير بشئون الماضين الذين عاشرهم ، وكان يسأل عن أصدقائه ممن يعرفهم فيخبر بأنهم صاروا إلى جوار الله فيترحم عليهم ، وكان إذا بايع الناس على السير إلى الله يبايع كلا بما يناسبه .

ومما سررت به أننى سمعت منه المبايعة على الطاعة : بايعنا الله والرسول على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، وأن لا نعصى الله ورسوله فى معروف ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وهى مبايعة مستمدة من السنة المحمدية ، وقد سمعته يدعو الله بدعوات ويذكر من أسمائه الخاصة ما تندهش له العقول ، وينقل عنه أصحابه من المكاشفات والكرامات العديد . وإن حاله لعجيب ، وأخباره كثيرة ، وهو مع تقدم السن به دائم الذكر يُسمع له دوى بالذكر والتسبيح والصلاة طول الليل .

وإن فى رؤياه لخييراً جماً ، فالحمد لله حيث شهدناه وأشهدناه على ذلك ، وقد أذن لنا فى الطريق والتقديم ، وأنابنا عنه فى إذن أحبابنا ، وإننا لنحبه فى الله تبارك وتعالى ، فبيننا وبين الشيخ رضى الله عنه من طريقه رجلان ، هو وسيدى محمد الغالى رضى الله عنهما .

وقد توفى فى شعبان سنة ١٣٥٤ من الهجرة ، ودفن بجلة أم سعدون ، وترك ولدين سيدى إبراهيم ، وسيدى أحمد وقد اجتمعت به فى الحج سنة ١٣٥٤ هجرية بمكة المكرمة ، وترك من البنات ثلاثاً ، رحمه الله ورضى الله عنه ، آمين .

الطبقة الثالثة

والأصل فى هذه الطبقة الأشياخ الذين أخذوا عن ورث أصحاب الشيخ رضى الله عنه ، وظهروا بنشر الطريق استقلالاً ، بخلاف الذين كان لهم شيوخ من هذه الطبقة الثالثة ونشروها فى حياة شيوخهم ، فالأولون فى الرتبة الأولى ، وتلاميذهم الذين أخذوا كذلك عن الطبقة الثانية هم فى رتبة تليهم ، وإنما اتبعنا الأمر الظاهر ، وأما الخصائص والمنح الخاصة فلا حجر عليها والله أعلم بها .

ومثل ذلك سيدنا الشيخ الشنقيطى له الإذن المطلق من سيدى بلقاسم بن سيدى محمد بن قاسم المكناسى عن الشيخ رضى الله عنه وسيدى الشيخ أحمد السباعى تلميذه ولكنه أخذ عن سيدى ابراهيم البالى الورد اللازم عن بعض أصحاب الشيخ وأخذ عن سيدى أحمد كلا بنانى الإذن بإعطاء الأوراد وكذلك سيدى الحاج هو وأعطى قليلاً فى حياة سيدى الحاج هو ، ولكن الطريقة إنما انتشرت على يده فى أنحاء القطر وأعطى التقاديم بعد صحبة سيدى الشيخ الشنقيطى وانتمائه له وإلقاء مقاليدته إليه ومن إجازته كما هو مدون فى الإجازات ، وكذلك بعض أصحاب سيدنا الشيخ الشنقيطى رضى الله عنه .

ومثل ذلك أيضاً سيدنا الشيخ خليل أبو زقالى بينه وبين الشيخ رجلان وله الإطلاق من شيخه سيدى محمد بن العلمى الذى كان لا يعطى إلا أفراداً مختارة يربيههم تربية خاصة وقد أخذ عن أصحاب الشيخ رضى الله عنه - كما ذكر لى حبيبه وصاحبه الثقة سيدى الشريف على العدوى بأم درمان حفظه الله تعالى - وسيدى الشريف الدردابى تلميذ سيدى خليل وقد أخذ الإذن بإعطاء الأوراد من سيدى البشير بن سيدى محمد الحبيب بن الشيخ رضى الله عنه ولم يأذنه بتقديم أحد كما هو فى إجازته ، وإنما تصدى لنشر الطريق بعد صحبته لسيدى خليل بأم درمان وانتمائه إليه ، وطالما نوه بذلك بنفسه .

وهناك قوم تعددت الوسائط بينهم وبين الشيخ رضى الله عنه ولكنهم كانوا من السابقين فى نشر الطريق ، وظهر لبعضهم من كمال الخصوصية ما يدل على سمو مرتبته وتحقيقه بأسرار هذه

الطريقة العلية ، وذلك مثل سيدى الشيخ بناتى آدم فقد جاء مصر فى القرن الماضى وربى وأعطى وظهر فضله ، وحسبنا أن من تلاميذه الشريف عبد العاطى العالم العلامة والخبير الفهامة بأسىوط ، فهذا قد ذكرناه فى الطبقة الثالثة لذلك ، وسنبداً به إن شاء الله تعالى .

وكذلك البك الفكاك فقد جاء فى عهد توفيق باشا الخديوى فى العشرة الأولى من هذا القرن وهو أول من طبع كتب الطريقة .

وسيدى أحمد بن الأمين الشنقيطى أول من ألف فى الدفاع عنها فى القطر المصرى مع جلاله قدره وإمامته فى العلم والطريق ، وقد كان حجة يرجع إليه فحول العلماء ، رضى الله عن الجميع ، ولا نعرف كم واسطة بينه وبين الشيخ رضى الله عنه .

فعلى هذه القاعدة رتبنا هذه الطبقة ، وسيظهر فى كل ترجمة القسم الذى يُنسب إليه كل

شيخ ، وهم :

- ١ - سيدى الشيخ بناتى آدم الفلاتى .
- ٢ - سيدى محمد بك الفكاك الشاوى .
- ٣ - سيدى الحاج الهاشمى محمد الدمناى .
- ٤ - سيدى الشريف عبد العزيز السملالى البوعمرانى .
- ٥ - سيدى أحمد بن الأمين الشنقيطى .
- ٦ - سيدى أحمد التجانى بن محمد بن إبراهيم الشنقيطى .
- ٧ - سيدى الحاج عبد السلام البنانى .
- ٨ - سيدى السيد محمد الأخضر التونسى .
- ٩ - سيدى الشيخ عمر بن عبد القادر .
- ١٠ - سيدى الحاج محمد أملاس .
- ١١ - سيدى الطيب السفينانى .
- ١٢ - مولاي عبد الرحمن بن زيدان .

- ١٣ - سيدى الحاج محمد المفتاح .
- ١٤ - سيدى أحمد بن المأمون البلغيثى .
- ١٥ - سيدى الشيخ خليل أبو زقالي وصاحبه سيدى الشريف الدردابى .
- ١٦ - سيدى الشيخ مبارك السوسى .
- ١٧ - سيدى محمد الطيب الوزانى .
- ١٨ - سيدى السيد محمد الأعتابى .
- ١٩ - سيدى محمد عبد الواحد التونسى .
- ٢٠ - سيدى محمد عبد المالك بن العلمى .
- ٢١ - سيدى الشيخ محمد عبد الله الخرشى الشنقيطى العلوى .
- ٢٢ - سيدى الشيخ عمر الرياحى .
- ٢٣ - سيدى الحاج أحمد سكيرج .
- ٢٤ - سيدى ابن عمر بن سيدى محمد الكبير .

١ - سيدى الشيخ بناتى آدم الفلاتى رضى الله عنه

كان من أهل الفتح والهمة العارفين بالله تعالى ، ذوى الولاية المحققة والهمة الخارقة ، أصله من نيجيريا غربى السودان ، أخذ عن الشيخ حبيب الماجد عن الشيخ موسى المجاهد عن سيدى عمر بن سعيد الفتوى ، ومع أن بينه وبين الشيخ أربع وسائط فقد كان ممن يأخذ عن الشيخ رضى الله عنه مباشرة بطريق الروحانية ، وقد قدم أسيوط مع الرجل الصالح الحاج تميم البكرى التجانى فى القرن الماضى ، واجتمع به الشريف العلامة الحجة سيدى الشيخ عبد العاطى أحمد الشريف عالم أسيوط ، وأعطاه سر الجبروت وسر الوصول وقد أخذهما عن روحانية الشيخ رضى الله عنه ، وأملاهما عليه فى الظلام فسطع نور روحى فى الخلوة أضاء له حتى كتبهما ، وأدخله الخلوة بسر الوصول ، وقد تحقق بسر رضى الله عنه ، وقد وصلنا سر الجبروت عنه من طريق بعض أصحابه .

وتوفى حوالى أواخر القرن الثالث عشر تقريباً ، وتوفى الشريف عبد العاطى أحمد أواخر شوال سنة ١٣٤٣ هـ ، وهو الذى أعطى الطريقة فى سنة ١٣١٦ من الهجرة للشيخ حسين حسن الطماوى ، وفى سنة ١٣٢٢ هـ للشيخ مكى محمد مكى وغيرهما .

٢ - سيدى محمد بك الفكاك الشاوى رضى الله عنه

العبد الصالح الذى مُنح القبول والرفعة والعمل والحال ، المحسن الذاكر ، كان طبيباً بصيراً بمداواة الأمراض بأنواعها ، وكان يجيد جراحة العيون ، وكان سبب صداقته مع خديوى مصر توفيق باشا أنه قام بعملية جراحية فى عين زوجته فشفاهها الله تبارك وتعالى ، فتوثقت عرى المودة بينهما ، ثم من بعده ولده عباس باشا الثانى الخديوى ، وكان البك ذا جاه وثروة كريماً معطاءً ، يؤوى إليه الفقراء والمساكين ويوليهم رفته ، وكنت لا تؤم المسجد الحسينى فى أى وقت من أوقات الصلوات الخمس إلا وجدت عربة البك الفكاك الخاصة واقفة بالباب تنتظره ، وكان يسكن المغربلين القريبة من باب المتولى ، وكان له نفس الوجاهة عند حاكم تونس ، ورزقه الله القبول حيثما ولى ، وقد أخذ عنه الكثيرون ، وهو الذى تولى مشيخة الزاوية بعد وفاة سيدى الحاج محو العقبانى رضى الله عنه ، وهو الذى قام بطبع جواهر المعانى بمصر لأول مرة ، وكذلك مجموع الأوراد التجانى ، وأهدى كتب الطريقة لصديقه توفيق باشا ، وأخذ عن سيدى حم بن سيدى محمد العيد بن سيدى الحاج على التماسينى ، وربما أخذ عن غيره فقد كان من المتقدمين ، وتوفى بمصر قرب سنة ١٣٣٠ من الهجرة ، رضى الله عنه .

٣ - سيدى الحاج الهاشمى محمد الدمناى رضى الله عنه

العابد الزاهد ذو الحال العجيب والنفس المجيب ، توطن الإسكندرية بعد أن ساح فى كثير من بلاد القطر وأعطى بها الطريقة ، وأخذ عن الشيخ سيدى البشير حفيد الشيخ رضى الله عنه ولما جاء القطر المصرى ورأى ما فيه من مخالفة للشريعة - وكان دقيقاً فى المعاملة والعبادة شديد التمسك بالكتاب والسنة لا يخشى فى الله لومة لائم - تحين فرصة مجئ الخديوى عباس باشا الثانى إلى المسجد بالإسكندرية ، ووقف بعد الصلاة وقال له : إن المفاسد التى فى هذه الأمة أنت المسؤول عنها بين يدي الله تعالى ، فاتق الله ، فقبض عليه الحرس ، وبعد أيام أخبره جمع من العلماء الذين يعرفونه بفضله وإخلاصه ومنهم البك الفكاك صديقه وصديق والده ، فجاء به ثم سأله الخديوى عن حاله ، فأخبره أنه مقدم الطريقة التجانية ، وأنه مأمور بالإرشاد وأن يدعو الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة ، فقال له : ومن يشهد لك بذلك ، فأخرج له إذن سيدى البشير رضى الله عنه ، فأخذه منه وأخلى سبيله ، فسافر إلى بلاد المغرب وجدد العهد على سيدى البشير رضى الله عنه ، وعاد إلى مصر وقد صحبه جمع من التجانيين وانتفعوا به ، ومنهم ولده سيدى محمد المتوفى بالإسكندرية منذ زمن قريب .

وكان إذا دخل بلداً بدأ بالمسجد ، فلما زار تلبانة لأول مرة وكان معه سيدى أحمد بن الأمين الشنقيطى الإمام الحجة النحوى والشيخ أبو بكر المدنى ، فوجدوا المسجد مهدماً ، فقال : إن بلداً مسجدها خراب قلوب أهلها خراب ، وعزم على السفر وأن لا يذوق لأهلها ماءً وأبى أن يمكث فيها ، حتى أخذوا على أنفسهم عهداً وثيقاً ببناء المسجد .

وهو أول من قام بنشر الطريقة بالإسكندرية ، وكان قد مر بها بعض الشناقطة وأهل السودان فتعرف بهم الشيخ سيد أحمد عبد المؤمن ، ثم قدم سيدى الشيخ السباعى فأعطى بسند سيدى أحمد التجانى الشنقيطى فأخذ عنه الحاج على الفيلىلى وأولاده والشيخ سيد أحمد وخليل أفندى وغيرهم ، كما أنهم أخذوا عن سيدى الحاج الهاشمى رحمه الله تعالى وكان مهيب الطلعة ، نظيف الشيبة ، قائماً على ساق الجد ، ومازال حريصاً على نشر الطريق والقيام بشؤونها ، إلى أن توفى فى ٢٨ ربيع الثانى سنة ١٣٣٢ هجرية بالإسكندرية ، رحمه الله تعالى .

٤ - سيدى الشريف عبد العزيز السملالى البوعمرانى رضى الله عنه

الشريف العلامة التالى الذاكر ، القائم لله على قدم الصدق والإخلاص ، كان يقرئ أولاد الشيخ بعين ماضى حين كان سيدى عبد المالك يقرأ معهم .

وطلب سيدى الصغير بن العلمى منه أن يقيم بالعلية ليقارئ سيدى عبد المالك ، فأقام بالعلية مدة ، وصحب سيدى البشير ، وكان ورده فى اليوم عشرة آلاف من صلاة الفاتح ، أو نصف القرآن ، وأخذ عنه الشيخ مكى محمد مكى ، والشيخ حسين حسن الطماوى وغيرهم ، وكان يدرس بالأزهر الشريف ، وهو الذى وقف على طبع الخريدة لسيدى الشيخ النظيفى الطبعة الأولى ، وكان يؤثر الخمول ويبتعد عن الظهور ، وتوفى بعد الثلاثين من الهجرة ، رحمه الله تعالى ودفن بقرافة المجاورين بمصر .

٥ - سيدى أحمد بن الأمين الشنقيطى رضى الله عنه

العلامة اللغوى ، الأديب الحجة ، الإمام ، مرجع علماء اللغة ، الأريب الفاضل ، واللودعى الكامل ، وقد انتشر صيته فى مصر وغيرها ، واستوطن الحجاز مدة ، ورحل إلى الأستانة ، وأقام بروسيا سنة وألف بها كتابه فى الأمومة عند العرب - طهارة العرب وطبع بالروسية - وأقام بسوريا زمناً ، وقدم مصر سنة ١٣١٨ هـ ، وكان واعية حافظاً ، رجع إلى تحقيقه العلماء الأعلام وحل المغلق وشرح الغريب ، وكان فريد العصر فى حفظ الشواهد عقد له لواء الإمامة فيها ، وكان يعرض عليه البيت المصحف فيرجعه إلى أصله بمجرد عرضه عليه ويذكر القصيدة التى هو منها من أولها إلى آخرها .

وله كتاب الوسيط فى ترجمة أدباء شنقيط ، أملاه من حفظه غير بضع قصائد منه كما حدثنى غير واحد ومنهم السيد محمد أمين الخانجى وذكر أنه أملاه عليه ، وحدثنى بما يدل على ولايته وكشفه ، قال له : إنى حدثت أن أختى توفيت وأن ولدها قادم إلى مصر ، فما لبثوا أن جاء الخبر بذلك ثم قدم ولد أخته ، وله الدار اللوامع فى شرح همع الهوامع فى النحو للسيوطى فى جزأين ، وله رسالة الدرر فى صرف عمر ، وصحح الأغانى ومعجم البلدان لياقوت وكان تصحيحه خيراً بكثير من تصحيح أوروبا ، وشرح المعلقات العشر وترجم لرجالها واستند فى ذلك إلى روايته الخاصة ، وشرح ديوان الشماخ ، وصحح أمالى الزجاج الصغرى ، ونصف أمالى السيد المرتضى ، وكثيراً من كتب الأدب .

وكان عابداً زاهداً متواضعاً ، يأنس بالخلوة ويؤثر العزلة فى أغلب أحيائه ، وهو من أعلام الطريقة التجانية المشرفة ، ألف فيها ، ورد على منكر لفظ الأسم فى الجوهرة ووجهها على قواعد اللغة ، ولا شك أنه أعلم باللغة من المنكرين .

وكان أعجوبة زمانه ، بهر الناس بحفظه وعلمه أدبه ، وكان واسطة عقد العلماء والأدباء وشهدوا له بالفضل ، ومن أخص أصحابه المرحوم تيمور باشا وأحمد زكى باشا والشيخ محمود زناتى والشيخ طاهر الجزائرى ، وعُهد إليه التصحيح بدار الكتب المصرية .

ثم توفى فى أواخر سنة ١٣٣٧هـ ولم يجاوز الثالثة والأربعين من عمره ، ولم يتزوج ، وكان رحمه الله كريم الخلق مثل التمسك بالدين ، عزوفاً عن الدنيا ، عزيزاً مهيباً ، بقى على بداوته مدة فكان لا يأكل إلا اللبن والتمر ، ثم تعود الطعام المصرى ، غير أنه كان لا يجمع بين طعامين ودفن بقرافة المجاورين بمصر ، رحمه الله تعالى ورضى الله عنه ، آمين .

٦ - سيدى أحمد التجانى بن محمد بن إبراهيم الشنقيطى رضى الله عنه

وهو من العلويين ، ولد بمدينة شنقيط سنة ١٢٩١ هجرية ، وأخذ العلم عن والده ، وتلقى الإذن فى الطريقة عن سيدى محمد تلميذ والده فى العلم والطريق ، ثم أخذ عن والده ، وتزوج مرتين فى شنقيط وفارقهما ، وسافر من بلده ليلة الاثنين ١٥ رمضان سنة ١٣١٩ هجرية قاصداً الحج والزيارة ، وأذنه والده بالتقديم المطلق وكذلك سيدى محمد بن سيدى أحمد الصغير - وسيدى أحمد أخذ عن روحانية الشيخ مباشرة بغير واسطة كما هو مذكور فى البغية - وأقام مدة عند سيدى الحاج الحسين الإفرانى وكان بينه وبين والده صلة ومحبة ، وهو شيخه الذى ينتسب إليه ، ولما أذن له بالسفر زوده بالسكر والشاى ، فقال له : يا سيدى جزاك الله خيراً فإننى لا أصبر عن الشاى ، فقال له : إنه لن يفارقك إن شاء الله تعالى ولو كنت فى خلاء من الأرض ، فكان ذلك بإذن الله تعالى ، وأذن له بالإجازة المطلقة وكتب إلى أصحابه يوصيهم به ، وودعه إلى خارج سور البلد ، وأوصاه أن يسأل الله حاجته عند زيارته لسيدى العربى بن السائح رضى الله عنه ، ثم يسأل الله تلك الحاجة عند الشيخ رضى الله عنه فإنها تقضى إن شاء الله تعالى ، وقبل رأسه حين قبل يده وقال :

فلو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان

ولما وصل المقدم ابن القائد الحاج محمد سيدى الجلولى طلب منه أن يمكث عنده ثم يسافر إلى الحج ، فقال له : إنى أحب أن أزور الزوايا فى طريقى إلى شيخنا رضى الله عنه ، فسافر إلى صويرة أقام بها نحو ثمانية عشر يوماً ، ثم أسفى واجتمع بمقدمها سيدى محمد حدان وأقام عنده مثل تلك المدة ، وأركبه جواداً إلى الجديدة واجتمع بسيدى محمد أتلقى وهو مشهور بالولاية ويعمل له فى كل عام مولد فى حياته ، وسيدى الحاج الحسن المنتاكنى وأقام بها ثلاثة أيام .
ثم سافر بجرأ إلى الدار البيضاء وذلك فى شهر رمضان ، ونزل فى الزاوية واجتمع بالأحباب وفرحوا به فرحاً شديداً ، وكانوا يجتمعون مجالسهم بهذا الذكر كما أمر سيدى أحمد التجانى

رضى الله عنه : سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ملء ما علم وعدد ما علم وزنة ما علم ١٢ والفتاح ١٢ ، وكان من عادتهم أن يقسموا القيام قسمين ، ويصلوا الوتر قبل الفجر ثم يصلوا الصبح ، ويشرعوا في الوظيفة ويقدمونها صباحاً في رمضان .

ثم سافر إلى فضالة ومنها إلى رباط الفتح ، وفي الطريق اعترضهم بعض العربان فتوقفوا عن السفر ، فرأى سيدي الحاج الحسين الإفراني يقول له : لا تخف ، وسهل الله له الوصول إلى رباط الفتح ، وزار سيدي العربي بن السائح مؤلف البغية رضى الله عنه ، وكان الفقيه سيدي محمد بن موسى من علماء سلا يقرأ البخاري من أول رجب عند ضريح سيدي العربي ويختمه يوم ٢٦ رمضان ، فمكث إلى نصف القعدة ثم زار سلا ونزل عند الفقيه سيدي محمد بن موسى وكان يوالى الدرس وقرأ لتلاميذه السيرة الحلبية وحياة الحيوان الكامل للمبرد ، وكان يقرأ صباحاً ويختم الظهر ثم يقرأون قصيدة لسيدي العربي بن السائح يختمون بها الحديث وفيها : يا رحمة للعالمين ، فمكث على ذلك نصف ذى القعدة وشهر ذى الحجة وهو في كل أسبوع يزور سيدي العربي بن السائح ، وفي المحرم زاره زيارة خاصة وقفل الضريح عليه وقرأ ألفاً من الفتح وأهدى ثوابها إليه وكان يدعو ويسمع التأمين وليس معه أحد ، وطلب من الله عز وجل أن يكون من خاصة أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني رضى الله عنه وأن يعطيه الله التبحر في فقه الطريقة في أحكامها وشروطها وأدابها حتى يكون كسيدي الحاج الحسين وسيدي العربي بن السائح رضى الله عنه .

وقد أعطاه الله ذلك فكان فقيه الطريقة غير مدافع ، وسأل الله أن ييسر له السفر إلى فاس ، وكان عادة الفقيه سيدي محمد بن موسى أن يقيم احتفالاً بختم الحديث ، ولكنه رأى سيدي العربي بن السائح يأمره أن يؤخر الختم ويسافر مع الشيخ إلى فاس ، فسافروا في ركب حافل آمن ، ونزل الشيخ بزواية شيخنا سيدي أحمد التجاني رضى الله عنه ، واستغرق سفرهم سبعة أيام ، وإلتقى بسيدي الطيب السفيناني وسيدي أحمد العبدلاوي وولده سيدي محمد والفقيه سيدي محمد كنون والشيخ حسن الاخصاصي تلميذ سيدي الحاج الحسين الإفراني ، وذكر له

سيدي المحب أن ضيوف الشيخ ربما يمتحنون ، فقال له : أما أنا فلا ، فإن لي خصوصية عند الشيخ رضى الله عنه .

وسافر إلى مكناس لزيارة سيدي محمد بن قاسم صاحب الشيخ وأذنه سيدي بلقاسم بالإطلاق عن أبيه سيدي محمد بن قاسم عن الشيخ رضى الله عنه ، وزار زرهون وموساوا وكرما ، وكان يتردد بفاس على الشيخ أحمد شمس خليفة الشيخ ماء العينين وكان صديقه ، ثم سافر إلى العرايش فطنجة ومكث بها شوال كله ، ولقى في طنجة بعض الخاصة وكان سيدي أحمد سكيرج بفاس ، ثم سافر مع الحاج العربي صديقه ، وقطع جواز سفر من عند الريسولى حتى لا يحتاج إلى النصارى فى الإذن بالسفر .

ونزل بالإسكندرية ١٥ القعدة سنة ١٣٢٢ هـ ، وسافر إلى القاهرة ، وفى يوم عرفة سافر إلى الكتامية فنزل بدار سيدنا الشيخ أحمد السباعى ، وكان المغاربة يؤمنونه من كل جهة ، فطلب أحدهم من سيدي الشيخ الشنقيطى أن يتوجه إلى الله بالعدد الكبير لاسمه تعالى اللطيف ومتى سهل الله له يعطيه عشرة جنيهاً ، فقال : إنه لا يوجد أسهل منه عندي فإن احتجت فإني أتوجه إلى الله ولا حاجة لي بك .

ثم سافر إلى كرديده شرقية فتلبانة بقصد زيارة سيدي البشير رضى الله عنه وكان قد توفى قريباً ، ورأى سيدي الشيخ بدر بن سيدنا الشيخ عبد الهادى - أحد أصحاب سيدي البشير - الخديوى ومعه جيش كبير ومعه سبعة أطواق وقيل له : إن هذا هو القطب ، وقال له : إن الرؤيا صادقة عليك والأطواق هى الإجازات ، وأخذ عنه وتعلم له وانتسب إليه ، واجتمع بإخوان بلبيس والعدلية والمنوفية .

ثم سافر للحج ، والتقى فى المدينة بالحاج عبد القادر المهاجى ، والشيخ أحمد الأمين الفوتى خال سيدي الشيخ ألفا هاشم فعرفه وعرف أباه ، وقال له : إن أباك كان يأتى إلى السلطان أمير المؤمنين أحمد ولد سيدي عمر بن سعيد ، وكان قد بايعه فى حياته ، وأوصل إليه وصية من

شنيط ، وتزوج بالمدينة وكان يقول : إن سيدنا عبد الله بن عباس خرج من مكة خشية مضاعفة السيئات .

ثم سافر إلى السودان ولقى شيخ الإسلام الشيخ محمد البدوي ، والشيخ الطيب ، والشيخ أحمد أخيه ، وكان يقول عنه : لقد كان مجراً في العلم ، وأخذ عنه كثيرون ومنهم الشيخ أبو القاسم أحمد ، وجماعة أبي قصيصة بربري ، ومن تلاميذه من كان ورده في بعض الأيام ١٠٠٠٠ من الفاتح لما أغلق مع أنه صاحب وظيفة .

ثم عاد إلى مصر وقد أذن له بالتربية فظهرت آثار الإذن عليه ، فانضوى تحت لوائه جميع المقدمين والمريدين في هذا القطر ممن أخذ من قبل ، واعترفوا له بالخصوصية وأذعنوا له واتخذوه شيخاً ووسيلة ، وظهر على يديه علم الطريق وشروطها وشؤونها ، وتفقه الناس فيها بعد أن كانوا يكتفون بالمحبة من غير معرفة بأحوالها وكراماتها وفضلها ، وأقام بالفيوم وجال في القطر فثبت قدم أهلها وبدأ تلاميذه وتلاميذهم بنشر الطريق في نواحي القطر .

فمن أصحابه الذين أعطوا الطريق وقد انتفعوا به وأخذوا عنه سيدي الشيخ أحمد السباعي رضي الله عنه :

وهو سيدي الشيخ أحمد بن الحافظ بن السيد محمد بن سيدي أحمد أبو الكسور السباعي البقاري من أولاد سيدي علي أصلاً بجهة مراكش بالمغرب الأقصى ، ولد سنة ١٢٦٠ هجرية ، وخرج من مراكش في السابعة عشرة من عمره بقصد الحج والزيارة ، فسافر مع الزوار بطريق البر ، فمر بتفيلالت وفيجيج والأغواط وبسكرة وقسنطينة ، حتى وصل إلى تونس ، فركب البحر إلى جدة فمكة وحج ثم زار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، واجتمع هناك بسيدي ابراهيم البالي رضي الله عنه فتلقى عنه الطريقة التجانية الشريفة وكان في الحادية والعشرين من عمره ، وسيدي ابراهيم البالي بينه وبين الشيخ رجل واحد .

وتنقل في العربان ما بين المدينة ومكة ، وحج مرة أخرى ، وعاد إلى المدينة وأقام بضواحيها شهوراً ، ثم سافر إلى ضبا فاجتاز البحر الأحمر مع بعض التجار إلى القصير ومنها إلى قفط فقنا

فالبينا وأقام بها عدة شهور ، ثم أقام بجرجا وتزوج منها ، وماتت زوجته فتزوج بمغربية وكان ذلك قبل الثورة العراقية بسنة ، ثم انتقل إلى مصر القاهرة فوصل إليها فى اليوم الثانى والعشرين من شهر ذى القعدة عام ١٢٩٩ هجرية ، فأقام بها أربع سنوات أو خمساً ، ثم عزم على السفر إلى المغرب فباع ما يملك وأعد الزاد للرحيل ، فرأى فى النوم جنوداً كلما توجه إلى الغرب ردوه ، فأصبح مقلعاً عن السفر .

وتوجه إلى الحج للمرة الثالثة ومعه زوجته وأودع متاعه عند سيدى الحاج هو العقبانى سنة حج سيدى محمد الصغير بن سيدى الحاج على التماسينى ، ثم عاد إلى مصر فأقام بها حوالى خمس سنوات ، ثم انتقل إلى بير شمس منوفية وتزوج منها ، ثم انتقل إلى الكتامية سنة ١٣١٤ هـ فى منتصف شعبان وتزوج بها كذلك ، وقد اجتمع بشيخ الإسلام سيدى أحمد كلا بنانى عندما قدم الحج فى سنة ١٢٩٤ هجرية وأخذ عنه الإذن وأذنه بإعطاء الأوراد ، وسيدى أحمد كلا قد رأى سيدنا ولم يأخذ عنه ، وإنما أخذ عن أصحابه ، وكان خزانة سر سيدى محمد الحبيب بن سيدنا رضى الله عنه كما تقدم .

وأذنه سيدى الحاج هو العقبانى بإعطاء الأوراد ، وكان يشتغل بطب العيون وظهرت البركة على يديه ، وقد جبله الله على السخاء والكرم ، فكان مأوى الغرباء وملجأ الضعفاء قد ملأ الله قلبه رحمة وحناناً ، سهلاً ليناً هيناً بشوشاً متواضعاً عفيفاً ، سليم الطوية كريم الخلق ، وكنت ترى بيته يقيم به الأربعون وأكثر وأقل الأيام والشهور ، وبعضهم يقيم السنوات ، ويجتمع عنده من المشرق والمغرب الجموع ، وهو فرح بهم مجد فى إكرامهم ، لا يجدون منه إلا أخصاً أو أباً مشفقاً كريماً ، داره دارهم ، وإخوانه إخوانهم ، وبلغ صيته الآفاق ، فكان من يقصد الحج من أهل الطريق وكثير من غيرهم يؤمه فيجد عنده الراحة والود ، وكان أول أمره يقرأ أوراده وحده ولا يعلم الناس عنه أنه من أهل الطريق وكل ما يعرفون عنه أنه رجل صالح كريم مبارك ، حتى إذا كانت سنة ١٣١٦ هـ تقريباً قدم لزيارته الشيخ محمد المراكشى ومعه فراج مولى مولاي

الأمير والأمين مولى الأمين فرتبوا الوظيفة مرتين فى الصباح والمساء ، واجتمعوا ببعض أهل العلم وعرفوهم شيئاً عن الطريق .

وبدا بعض الناس ينضمون إليهم غير أنهم كانوا يُعدون على الأصابع ، حتى قدم سيدى أحمد الشنقيطى سنة ١٣٢٢ هـ فأخذ عنه الإذن والتقديم ، وهنا انتقلت الطريق إلى حال أخرى من الانتشار ، وبدأ فى نشرها فى مختلف النواحي هو وأصحابه ، وفى سنة ١٣٢٤ هـ أرسل إليه سيدى الحاج الحسن المتاكثى مقدم زاوية الجديدة بالمغرب الأقصى الإذن المطلق وهو أخذ عن سيدى محمد بن سعيد أتلظى ، كما أذن له ولد شيخه سيدى محمد المدنى بن سيدى الحاج سعيد العباس السوسى الدراركى وسيدى الحاج سعيد الدراركى أخذ عن الفقيه الكنسوسى وهو عن عدة من أصحاب الشيخ رضى الله عنه ، وأرسل إليه سيدى الشريف محمد بن أحمد الدردابى وأصله من أحواز تطوان بالمغرب الأقصى سنة ١٣٤٢ هـ إذناً ولم يجتمع به ، وقد أخذ سيدى الشريف الدردابى رحمه الله تعالى الإذن بإعطاء الأوراد من سيدى البشير ولم يأذنه بتقديم أحد ، وأخذ عن سيدى محمد العيد بن سيدى الحاج على التماسينى رضى الله عنه ، ورباه سيدى الشيخ خليل الذى كان بأم درمان وأصله من إدفو بمديرية أسوان - وسيأتى طرف من ترجمته رضى الله عنه - وكذلك سيدى الحاج أحمد سكيرج أذنه ، وقد اجتمع فى أواخر حياته بمولاي الشريف سيدى عبد المالك بن العلمى ، وقد زاره فى داره ، وتوفى رحمه الله تعالى ليلة الاثنين ١٢ ذى القعدة سنة ١٣٥٢ هـ ، وترك من الأولاد عبد الحفيظ ومحمد الحبيب وإبراهيم وفاطمة ونعيمة بالكتامية أشمون منوفية .

ومنهم سيدى الحاج البشير الزمورى ، وهو الذى تولى شؤون الزاوية بعد المرحوم البك الفكاك ، وقد أخذ التقديم عن سيدى محمد الكبير بن سيدى البشير حفيد الشيخ رضى الله عنه وكانت له تجارة بالفحامين ، وكان رجلاً كريماً أنفق عن سعة فى سبيل الله عز وجل ، وساح بلاداً كثيرة فى المشرق والمغرب والشمال والجنوب ، وخدم الأحباب ، وطبع النفحة القدسية لسيدى الشيخ محمد السيد التجانى على نفقته وأرسلها إلى المغرب ، وكان محباً صادقاً المحبة ،

وتوفى رحمه الله تعالى بمصر وبها دفن ، وتوفى فى أوائل سنة ١٣٣٣ هجرية رحمه الله تعالى ،
 وولده منير لا يزال مشتغلاً بالتجارة بالفحامين ، حفظه الله ، أمين .

وتولى رئاسة الزاوية بعده سيدى الحاج الجيلالى ، ثم مولاي على الحسينى وهو من أخذ عن
سيدى الشيخ الشنقيطى كما أخذ عن سيدى الطيب السفينانى وسيدى أحمد البلغيشى ومولاي
عبد الرحمن بن زيدان نقيب الأشراف بمكناس وسيدى عمر الرياحى وغيرهم ، وقد قدم مصر
فى سنة ١٣٢٤ هجرية هو والسيد محمد بن أحمد الدردابى معاً ، وكانا ممن تولى أمر الزاوية زمنأً .
والسيد محمد بن عبد الله الفاسى الذى كان تاجراً بالفحامين ، وقد أخذ عن سيدى الطيب
السفينانى وسيدى محمد الكبير وغيرهما ، وتوفى سنة ١٣٥٤ هـ رحمه الله تعالى ، وله أولاداً .
ومنهم سيدى الشيخ محمد مذكور الطصفاوى رحمه الله تعالى ، وقد قدمه سيدى البشير كما
تقدم وترك ذرية .

ومنهم سيدنا الشيخ بدر بن عبد الهادى مؤلف النفحة الفضلية وغيرها ، ولد سنة ١٢٨١ هـ
بتلبانة وقد أخذ أولاً عن سيدى البشير سنة ١٣٠٦ هـ وعن سيدى السيد هاشم العلوى وقدمه
سيدى الحاج حمو العقبانى والبك الفكاك وغيرهم ، ثم انتمى إلى سيدى الشيخ الشنقيطى وألقى
بنفسه بين يديه واجتمع به سنة ٢٣ هجرية ومكث فى صحبته أكثر من عشرين سنة ، ثم أذنه
مكاتبة سيدى الشريف الدردابى سنة ٤٢ هـ ولم يجتمع به ، وله أسانيد أخرى ، وله فضل عظيم
فى نشر الطريق وخدمتها ، حفظه الله تعالى .

ومنهم سيدنا الشيخ حسين حسن الطماوى ، ولد سنة ١٢٦٩ هـ ، وأول أخذه عن الشريف
عبد العاطى أحمد وقدمه سيدى الحاج حمو ثم انتمى إلى سيدنا الشيخ الشنقيطى وأخذ عن
الشريف عبد العزيز السلمالى البوعمرانى وسيدى الطيب السفينانى ، كما أجازته سيدى الشيخ
ألفا هاشم وسيدى الشيخ النظيفى وسيدى محمد الكبير وسيدى محمود وسيدى عبد المالك
وغيرهم ، وأولاده تجانيون وأهله ، وألف فى الطريق ودافع ، وقد رأيت عند الشيخ محمد أحمد
العلمى دفين أبى كبير شرقية المتوفى سنة ١٣٥٣ هجرية الذى أعطى الطريقة فى أبى كبير

وحانوت وههيا وبعض البلاد التي تليها إجازة من سيدى الشيخ حسين الطماوى ، وقد بلغنى أن الشيخ العلمى أخذ عن سيدى الغالى بن معروز عن سيدى موسى بن معروز عن الشيخ ، كما أخبرنى سيدنا الشيخ السباعى أن الشيخ العلمى أخذ عنه كذلك ، وتوفى سيدنا الشيخ حسين الطماوى فى شعبان سنة ١٣٥٤ هـ رحمه الله تعالى ، آمين .

ومنهم العلامة الفقيه سيدنا الشيخ محمود عبد المجيد من سلامون طما ، والقارئ الصالح الفقيه الشيخ محمود محمد خمير ، والشيخ عبد الفتاح سلمان بطما .

ومنهم الفتى الصالح الشيخ محمد عبد الله حسنين الطصفاوى مؤلف الفتح الربانى رحمه الله تعالى أخذ عن سيدى الحاج الهاشمى محمد وعن سيدى الحاج هو العقبانى وأخذ عن سيدى الشيخ الشنقيطى وكذا والده وأجازه سيدنا الشيخ السباعى من طريق سيدى الشيخ الشنقيطى كما هو مذكور فى كتابه ، وصحب سيدنا الشنقيطى وأذنه هو ووالده ، وأخذ عن سيدى الشيخ ألفا هاشم حين اجتمع به بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

ومن أجازهم الشيخ محمد عبد الله الشيخ عيد أحمد العالم العابد من الكتامية مركز أشمون منوفية وهو الذى أعطى الطريقة فى برطس مديرية الجيزة وبقيرة منوفية وغيرها وكذا أذن سيدى الحاج أحمد سكيرج رضى الله عنه الشيخ عيد .

ومن أخذ عن سيدنا السباعى عن سيدى الشنقيطى الحاج عبد القادر مكى الفيلالى المتوفى بفاقوس شرقية ، وسيدى الحاج عبد الوهاب الغمارى بن الميمون مقدم زاوية طنجة بالمصلى وقد صحب الأكابر بعد ذلك وهو من كبار أهل الخصوصية فى الطريقة ، وغيرهم كثيرون .

ومنهم سيدى الحاج الجيلالى بن الطاهر الزرهونى حفظه الله ، وقد نيف على التسعين ، وأول أخذه الورد لنفسه عن سيدى العربى بن السائح كما أذن له غيره كسيدى محمد المفتاح وسيدى الطيب وأخذ عن سيدنا الشيخ الشنقيطى وأعطى الطريق فى جهة جرجا وبرديس وعنه أخذ آل أبى ستيت كما أخذوا عن سيدى عبد المالك رضى الله عنه وقد جاءهم بالإذن من سيدى محمد الكبير للحاج عبد المجيد شمندى أبو ستيت .

ومنهم الحاج كامل الفقى رحمه الله تعالى عمدة غمرين منوفية وآله ، والسيد أمين الدرغامى وعائلته من منشية سلطان ، والحاج أحمد عبد العليم ، والشيخ مصطفى رضوان من برهيم وبالمشط منوفية ، ومنهم الرجل الكريم الحاج على المقدم من تلبانة وولده الحاج مصيلحي وعائلتهم ، ومنهم سيدنا الشيخ فرج الفقيه من تلبانة وكان من العلماء المحققين وقد اجتمعت به وله مرائى نبوية شريفة وصحب سيدى البشير ولم يأخذ عنه وأول أخذه عن بعض أصحاب سيدى الشنقيطى ثم صحبه هو وكذلك أولاده وهم من أهل العلم ، ومنهم الشيخ أبو دوله من الزوامل ، والحاج مهدي القفاص ، وعائلة الزهوى من بليس منهم الشيخ مصطفى الزهوى وهو رفيقه فى قبره ، وأولاده كلهم تجانيون السيد محمد الزهوى الصغير وهو أول من أخذ من سيدى البشير فى بليس وتلك الجهات وكان يسميه سيدى البشير البكرى والسيد محمد الزهوى الكبير والسيد شافعى والسيد إبراهيم أخذوا عن سيدى البشير من قبل والسيد مهدي والسيد على والسيد أحمد أخذوا عن سيدى الشنقيطى مباشرة أو بواسطة .

والشيخ أحمد عطية من غيتا ، والحاج على الفيلالى المغربى المتوفى بالإسكندرية وقد أخذ عن سيدنا الشيخ السباعى عن سيدنا الشيخ الشنقيطى ثم صحبه مباشرة وكذلك أولاده وعلى أكتافهم أقيمت الطريق بالإسكندرية ، وكذلك الشيخ سيد أحمد عبد المؤمن ، وخليل أفندى محمد حسن المتوفى فى شعبان سنة ١٣٤٢ هـ وهو الذى تبرع بالزاوية التجانية بالإسكندرية وقام بخدمة الطريق أجل خدمة وتزوج سيدى عبد المالك بأخته .

ومنهم سيدنا الشيخ حسين سيد أحمد المأذون الشرعى بالبلشون وولده الشيخ عبد الحلیم وصهره العلامة الشيخ سليمان داود من أفاضل المدرسين بالأزهر الشريف وله فى مدح سيدنا الشيخ الشنقيطى قصيدة بديعة مطبوعة ، ولا تنس محبه حفى أفندى حمزة وكان يدعو له كثيراً وإن لم يأخذ الطريق ، ومنهم السيد محمد الرفاعى من العدلية ، والشيخ العتيق ، والشيخ أحمد أبو على بليطه وكان فانياً فى حبه صادقاً فى صحبته وظهرت آثار الخصوصية عليه وكان فقيراً وربما طلب بعض أهله الفاكهة وليس عنده ما يشتري به فيسأل الله متوجهاً بحبته للشيخ فلا

يلبثون أن يجدوها في دارهم بغير أن يعرفوا لها مصدراً ، ومن كرامات سيدي الشيخ الشنقيطي معهم أنه أخذ شيئاً وقرأ عليه ما قرأ ثم قال : ضعوه في غلالكم ، وكانت قليلة وأمرهم أن لا يكيلوها ففعلوا ومكثوا زمناً طويلاً يأكلون منها ولا يحتاجون .

ومنهم سيدنا الشيخ محمد سلامه من تلبانة ولد سنة ١٢٨٧ هجرية وقد قدمه في الطريق وكانت له به عناية خاصة ، وقد أخذ عن سيدي البشير أولاً سنة ١٣٠٦ هجرية بعد سيدنا الشيخ بدر بنصف سنة ثم سيدي الحاج هو ، ودلت الحقائق على أنه صاحب سر سيدي البشير فكثيراً ما يأتيه بالطريق الروحية ويوصيه بتبليغ ما يجب لأصحابه .

وأصحاب سيدنا الشيخ الشنقيطي كثيرون ، وقل أن تجد أحداً نشر الطريقة في أيامنا هنا إلا وله عليه مشيخة مباشرة أو بواسطة أو صحبة وانتفاع بعلمه وفهمه .

ولنختم تعداد أصحابه بمن فاز بأعلى خصوصية لديه وهم :

سيدي الحاج عبد القادر السيد الحواط أعظم خلفائه وقد أطلق له الإذن والتقديم ما عدا إعطاء الفاتحة بالنية ، وفناؤه فيه معروف مشهور ، وهو أخص أصحابه رضي الله عنه وحفظه الله تعالى ، وخدم الطريق وطبع الفتوحات الربانية لسيدنا الشيخ الشنقيطي ، ويقرأ السيفي ويصبر على بلائه ، وجاور مدة بالمدينة ، وصحب الشيخ ألفا هاشم وخاله الشيخ أحمد بن الأمين الفتوي ، وله الإذن من سيدي عبد المالك ومن أولاد شيخنا رضي الله عنه .

وسيدي الشيخ محمد السيد التجاني صاحب كتاب النفحة القدسية في السيرة الأحمدية والسر الأبهر وغيرها وواضع سنوية التجاني ، ولد بالزنكلون شرقية سنة ١٣٠١ من الهجرة ، وقد أطلق له سيدنا الشنقيطي في الإجازة ما عدا إعطاء الفاتحة ، ونشر الطريق سنة ٤٨ هجرية بنواحي فاقوس شرقية وكفر صقر وأبو كبير والصالحية والوادي ، وأخذ أول أمره من سيدي الحاج هو سنة ٢١ هجرية ، كما صحب سيدي الحاج الهاشمي .

والشباب الصالح الأخ سيدي علي أفندي سعيد وهو محبوب الشيخ وقدمه وخصه بما خصه وله الإذن من سيدي عبد المالك ودار الشيخ كذلك .

وسيدى الشيخ شافعى الزهوى كذلك ، وحسبه أنه اختار أن يلقي ربه فى داره ، وقد كان
يجب الشيخ محمد الغريب ويتسامر معه .

ونحمد الله حيث صحبناه ، وقد قرأت عليه كتابه الفتوحات الربانية كله وذاكرته فيه
وحصلت لنا بركاته وكتب لنا الإذن بروايته عليه ، وكان رضى الله عنه لا يجب الاشتغال
بالأوافق وما يتعلق بها من الدعوات ونحوها ، وذكر لى أن خاله عرض عليه أن يعلمه ذلك
فأبى ، وكان لا يرى خيراً للمريد إلا أن يسير على الجادة ، وكان لا يأمر إلا بما اشتهر من
الأذكار وتواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الشيخ رضى الله عنه ، وكان يتوجه إلى الله
بصلاة الفاتح أو اسمه تعالى اللطيف فى شؤونه ، وتوفى فى بلبس يوم السبت ٢٨ شوال سنة
١٣٤٥ هـ رضى الله عنه .

٧ - سيدى الحاج عبد السلام البنانى رضى الله عنه

الفقيه العلامة ، الحبر البحر الفهامة ، وهو حفيد سيدى أحمد بن محمد بنانى صاحب سيدنا رضى الله عنه وقد تقدم بعض الكلام عنه فى ترجمة ولده شيخ الإسلام سيدى أحمد كلا بنانى عم المترجم .

أما والده فهو سيدى الحسن رحمه الله ، وكان آية من آيات الله فى العلم والأدب ينسل إليه كل طالب فن من كل حدب ، وقد كان عند سيدنا رضى الله عنه محبوباً ، وكتب له بخط يمينه المباركة سورة الرحمن حين وصل إليها فى القراءة فى المكتب فى لوحة موجودة الآن تحت يد بعض أقاربه ، وكان سيدنا رضى الله عنه يدعو له بالفتح ، وخصه بلقيمات من طعامه المخصوص به ، وقد عادت عليه بركة سيدنا رضى الله عنه ، فكان رحمه الله عند العامة والخاصة معظماً ومبجلاً .

وتلقى الطريقة بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه على يد المقدم البركة سيدى موسى بن معزوز رحمه الله ، توفى رحمه الله سنة ١٢٧١ هـ وقبره بمراكش معروف ، وقد حج المترجم وزار ، ومر بمصر وأخذ عنه جماعة ومنهم سيدى الحاج محمد أملاس أخذ عنه بالحجاز ، وغيره رضى الله عنه .

٨ - سيدى السيد محمد الأخضر التونسى رضى الله عنه

العالم الصادق اللهجة والحال ، المجد المتواضع ، حضر مصر وجمال فى بعض بلدانها ، وأعطى الطريق والتقديم ، وممن أخذ عنه بعض التجانيين فى بلبس والعدلية وغيتا والزوامل وتلبانة حوالى سنة ٢٥ هجرية ، ثم سافر إلى المغرب رضى الله عنه .

٩ - سيدى الشيخ عمر بن عبد القادر رضى الله عنه

ولد بإحدى البلاد التابعة لسكتو غربى السودان ، وأخذ الطريقة من الشيخ محمد بن أحمد العباسى التونسى فى غمبيا ، ثم اجتمع بسيدى أحمد الأكوارى الشنقيطى فى كوكوا عاصمة برنو سنة ١٢٩٦ هـ ، وأخذ عنه الإجازة سنة ١٢٩٨ هـ ، وسيدى أحمد الأكوارى أخذ عن سيدى عمر بن سعيد الفتوى وقدمه ، وكذلك سيدى محمد الغالى ، كما ذكر الشيخ مكى محمد مكى تلميذ الشيخ عمر عنه .

وقد ذكر لى المترجم أنه إنما يعتمد فى هذه الطريقة على إذنه هو دون سائر إجازاته وهو شيخه ومربيه ، وحدثنى عن نفسه أنه سافر إلى جهات عديدة ، وسافر من مكة إلى بنى مالك والعسير واليمن ، ثم استوطن أم درمان سنة ١٣٠٧ هجرية ، وفى سنة ٢٨ هجرية قدم إلى أسبوط لزيارة صاحبه وحببيه التجانى الصادق الذاكر صديقنا وحبينا المرحوم الشيخ مكى محمد مكى المتوفى بأسبوط فى ١٨ ربيع الثانى سنة ١٣٥٤ هـ ، وكان قد زاره فى السودان سنة ٢٧ هجرية .

وأخذ عنه أيضاً الملامتى ذو النفس الراضية الشيخ أحمد التجانى بأسبوط وأبوه تجانى ، وسافر إلى طما واجتمع به سيدنا الشيخ حسين حسن الطماوى والشيخ عبد الفتاح سلمان وغيرهما وأخذوا عنه ، لم يمكث إلا أياماً ثم سافر إلى السودان ، ومازال بأم درمان ، وقد اجتمعت به مراراً سنة ١٣٥٣ هـ ، ومن عادته أن يذبح شاة للأحباب الذين يحضرون الهليلة بداره فى كل جمعة ، حفظه الله ورعاه ، آمين .

١٠ - سيدى الحاج محمد أملاس رضى الله عنه

وهو ابن سيدى الحاج محمد العربى بن سيدى الحاج على أملاس صاحب الشيخ رضى الله عنه ، وترجمته فى كشف الحجاب : " ذو السر الواضح ، الولى الصالح ، والعارف الأكبر ، والقدوة الأشهر ، محب سيدنا وحببيه وجليسه وأنيسه أبو الحسن سيدنا الحاج على أملاس ، هذا السيد رحمه الله من خاصة المقربين عند سيدنا رضى الله عنه ، وهو الذى كان يباشر العقاقير واستخراج أدهانها النافعة من الأضرار المعضلة ، وطلب فى بعض الأيام من سيدنا رضى الله عنه أن يدعو لأحد أولاده ، فصار سيدنا رضى الله عنه يمسح على رأس ذلك الولد بيده الشريفة ، ويقول : " منا وإلينا ، هو وأولاده ومن تناسل منهم إلى يوم القيامة " انتهى .

ولد سنة ١٢٧٢ هجرية بفاس ، ونشأ بالزاوية التجانية كجميع أهله ، وأخذ عن والده عن جده وعن بعض أصحاب سيدى الحاج عبد المالك الضير ، وأخذ التقديم عن والده ، وسيدى الحاج محمد مزور صاحب زاوية لطلعة ، ثم سيدى الطيب السفينانى سنة ٢٥ بالحجاز ، وسيدى عبد السلام بنانى ، وسيدى الحاج عبد القادر المهاجى ، وسيدى الشيخ ألفا هاشم ، رضى الله عنهم .

وحج سنة ١٢٩٠ هـ ، ثم عاد إلى الحج سنة ١٣٠٣ هـ ، وجاء إلى مصر سنة ١٣٠٤ هـ ومكث بها إلى أن حج سنة ١٣٠٩ هـ ، وأقام بمكة ثلاث سنوات ، ثم بالمدينة إلى سنة ١٣٤٥ هـ فعاد إلى القاهرة ، وأقام بها ملازماً الذكر والعبادة مدة بالزاوية ومدة بدار مولاي على محباً للعزلة والسكون ، حفظه الله ورضى الله عنه .

١١ - سيدى الطيب السفينانى رضى الله عنه

بقية السلف ، من اتفق على صلاحه وولايته أهل هذا الشأن ، وهو شيخ الزاوية التجانية الكبرى التى بها ضريح الشيخ رضى الله عنه ، حدثنى سيدى محمد عبد المالك عن عظيم صلته الخاصة بالشيخ سيدى أحمد التجانى وأخذه المباشر عنه ، كما ذكر لى ذلك غير واحد ، وهو مع علو مقامه يهضم حق نفسه فزاده الله علواً ورفعة ، وجده سيدى الطيب السفينانى الكبير صاحب الإفادة الأحمديّة ، وقد ذكرنا فى مقدمة طبعها نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى كشف الحجاب أنه قبل يد الشيخ سيدى أحمد التجانى فحلف عليه الشيخ أن يعطيه يده حتى يقبلها لشرفه .

وفيه أيضاً ترجمة والده سيدى أحمد بن سيدى الطيب : " البركة المصدر بين الأجلة ، الناسك الذاكر ، صاحب السر الظاهر ، النور الواضح ، والفضل الراجح أبو العباس سيدى أحمد السفينانى ، كان رحمه الله ملازماً فى غالب الأوقات للزاوية المباركة ، ويحضر مع والده سيدى الطيب مجلس سيدنا رضى الله عنه مع صغر سنه فى ذلك الوقت ، وحدثنى ولده المقدم البركة سيدى الطيب رعاه الله أن صاحب الترجمة كان جالساً مع والده فى الزاوية المباركة ، بحضور جملة من الإخوان وسيدنا رضى الله عنه حاضر ، فصار يتأمل فى وجه سيدنا رضى الله عنه ثم هز والده وقال له شيئاً فى أذنه ، فرآه سيدنا رضى الله عنه ، فقال له : ما قال لك ؟ فقال : يا سيدى قال لى : لم ير أحسن منك ، فقال له سيدنا رضى الله عنه : الله يحسن حاله مع الله ، فحصل لوالده من الفرح بهذا الدعاء لولده ما الله أعلم به ، ولما توفى سيدنا رضى الله عنه كان عمره نحو ثلاث عشرة سنة ، وقد عادت عليه رحمه الله تلك الدعوة المباركة ، فكان من خيار خلق الله ، ذا جذا واجتهاد فى عبادة مولاه ، إلى أن توفى رحمه الله يوم الاثنين ثانى صفر عام ست وثمانين ومائتين وألف ، ودفن قرب والده بجبل الزعفران بوصية منه رحمة الله عليه ، وله رحمه الله فى مدح سيدنا رضى الله عنه نظم كثير فى الموزون والملحون " انتهى ، وذكر بعضه فى كشف الحجاب .

ثم قال : " وولده البركة المقدم سيدي الطيب حفظه الله هو المصدر لإعطاء الطريقة في الزاوية المباركة الآن ، وهو من أفاضل المقدمين في هذا الزمان ، تلقى التقديم من جملة أفاضل من المفتوح عليهم ، وقد حدثني سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي - نفعني الله ببركاته - أنه اجتمع في بعض الأيام بالولي الصالح سيدي العربي بن السائح رضى الله عنه ، فسأله عن أحوال الإخوان ، فأخبره بحالهم وأنهم يسلمون عليه ومن جملتهم سيدي الطيب المذكور ، فقال له : مرحباً بسلامه وهو عندي السيد الطيب الثاني ، فقال له سيدي أحمد العبدلاوي : يا سيدي نحبك أن تقدمه ، فقال له : ما عملته فهو ذاك ، فأعدت عليه ، فقال : ما عملته فهو ذاك ، فسرى له الإذن من بينهما ، حفظه الله ورعاه ونفعنا وإياه ، ولقد خصه الله بمكارم الأخلاق " انتهى .

وقد شرف الديار المصرية سنة ١٣٣١ هجرية ، وأخذ عنه كثيرون ، وأخذ عنه سيدي الشيخ ألفا هاشم ، وقد حدثني أن سيدي الطيب السفيناني قال له : إني أذنتك بكل ما لدى الإذن فيه فأذن لي كذلك في كل ما لديك الإذن فيه ، ففعل .

وقد أمرني سيدي ألفا هاشم بذلك وقال : سأفعل معك كما فعل معي سيدي الطيب السفيناني ، ففعلنا ، ثم قال : هلم فلتبادل الثياب ، فأعطاني ثوبه وأخذ ثوبي ، ثم أعطاني مسبحة الخاصة به والله الحمد والشكر ، وكان ذلك في محرم سنة ١٣٤٧ هجرية بالزاوية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وقد حج سيدي الطيب السفيناني قبل ذلك .

وقدم ولده سيدي الغالي حفظه الله تعالى حاجاً سنة ١٣٥٢ هـ ، ومر بمصر وأعطى فيها الطريق والتقديم لبعض الأحباب ، ولنعم الولد والوالد والجدود ، رضى الله عنهم ، آمين .

١٢ - مولاي عبد الرحمن بن زيدان رضى الله عنه

العلامة المتبحر ، الأديب الأريب الفقيه ، المشارك السباق فارس حلبة المعارف ، المؤلف النفاة كبير البيت المالك بالمغرب الأقصى ، ونقيب الأشراف ، ثمرة البيت النبوى ، ومرجع الفضل الأهمدى ، ومن مؤلفاته قراضة العقيان فى استمرار الكهانة إلى آخر الزمان ، وإتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ، وله تأليف فى سنية القبض فى الصلاة ، وديوان شعر جميل ، وتشرفت الديار المصرية بقدمه سنة ١٣٣١ من الهجرة ، وأخذ عنه كثيرون ، وأسانيده كثيرة ، ومازال العصر به منيراً ، زاده الله رفعة على رفعة ، أمين .

١٣ - سيدى الحاج محمد المفتاح رضى الله عنه

وهو ابن الحاج المحجوب العيادى السلمالى أصلاً المراكشى داراً ، أقام بمصر مدة وأخذ عنه كثيرون ، وله أسانيد عدة منهم وأولاهم بالتقديم سيدى البشير حفيد شيخنا رضى الله عنه ، وسيدى أحمد بن موسى الفقيه عن سيدى العربى بن السائح ، وحج سنة ٣٤ هـ وزار وأعطى قوماً بالحجاز ، وأخذ عن بعضهم ، ثم سافر إلى الشام فاستوطنها ، ثم انتقل إلى الدار الآخرة بعد الأربعين من الهجرة ، رضى الله عنه .

١٤ - سيدى أحمد بن المأمون البلغيثى رضى الله عنه

هو صفى الدين سيدى أحمد بن المأمون بن الطيب ، وهو شريف حسنى ، ذكر الشيخ عبد الحفيظ الفاسى نسبه فى ترجمته فى معجم شيوخه فى الحديث المسمى رياض الجنة وقال : " عالم كبير ، وإمام شهير ، مشارك فى كثير من الفنون ، متضلع فى الفقه والنوازل والمعاملات ، متبحر فى علوم اللسان ، ريان من الأدب ، شاعر مكثر ناظم ناثر ، نسيج وحده وفريد دهره إتقاناً ومعرفة ، سيال القريحة ، شديد العناية بالعلم ، مكب على التدريس ، دؤوب على العمل حسن النقد ، جيد النظر ، متقن الصنعة ، أبى النفس ، عظيم الهمة ، حاد الذهن والمزاج ، منفذ العزيمة ، عظيم الحرمة ، كبير الوجاهة ، رفيع القدر ، ميمون النقيبة ، مسعود الحظ بمكان من الملوك ورعايتهم وبرهم " .

ثم ذكر مشايخه فى العلم وبين : " أنه حج سنة ١٧ هـ الحجة الأولى ثم الثانية سنة ٢٨ هـ ، وبين تصانيفه ومنها الابتهاج ، شرح منظومة المسنارى فى الأدب فى مجلدين وقد دل على ما له من المشاركة فى العلوم ، وله ديوان من الشعر يسمى تنسم عبير الأزهار ، وله النوازل فى جزءين ، وله منظومة فى رحلته الحجازية فى حجته الثالثة " انتهى ، وقد أهدانى إياها سيدى الشيخ المهدي شيخ المغاربة بالقدس الشريف .

وقد زار المترجم بيت المقدس ، وفى رياض الجنة أيضاً تولى القضاء بثغر الصويرة أول سنة ١٣١٢ هـ وأعفى منها سنة ١٣١٦ هـ ، وفى سنة ١٣٢٥ هـ تولى قضاء العرائش ، وفى سنة ١٣٢٦ هـ بعدها نقل إلى قضاء الصويرة ، وفى عام ١٣٣٢ هـ لما أسس مجلس استئناف أحكام القضاة بالرباط عين عضواً به ، وفى سنة ١٣٣٣ هـ نقل إلى قضاء الدار البيضاء ثم أعفى عنه ، وفى سنة ١٣٣٩ هـ أعيد إلى مجلس الاستئناف ، ثم نقل منه فى سنة ١٣٤١ هـ إلى قضاء مكناسة الزيتون ثم أعفى منها ، فحج بعد ذلك حجته الثالثة ، ومات رحمه الله سنة ١٣٤٨ هـ بفاس ، وكانت له جنازة مشهودة ، وعظم المصاب بموته لعلمه وفضله وأدبه .

١٥ - سيدى الشيخ خليل أبو زقالى وصاحبه سيدى الشريف الدردابى رضى الله عنهما

أصل سيدى خليل من إدفو مديرية أسوان ، وساح وأخذ عن سيدى محمد العلمى عن سيدى الحاج على التماسينى عن الشيخ ، وقد حدثنى بذلك صاحبه وتلميذه وحببيه سيدى الصالح الصادق الشريف على العدوى المصرى أصلاً المقيم بأم درمان ، فذكر لى أنه تولى قطيبة ذلك الإقليم ، وأن أحد الضباط وقع فى مشكلة وقدم للمحاكمة العسكرية ، وكان من المؤكد أنه سيعاقب ، وكان الشيخ على العدوى تجمع به صلة العمل ، فأخبر سيدى خليل بأمره ، فقال له : أخبره أنه سينجو إن شاء الله تعالى ، ويحصل له كذا وكذا ، ويرقى إلى رتبة كذا فى زمن كذا ، وقل له : إن قطب البلد هو الذى قال ذلك ، وقد وقع ما أخبر به .

واستشاره رجل فى طلاق ابنة عمه لأنها لم تلد منه ، فقال له : لا تطلقها وسيكون لك منها عدد كذا أولاداً وكذا بنات إن شاء الله تعالى ، وكان الأمر كذلك ، وأخبر بوقوع حوادث عينها فوقت بعينها كما ذكرها ، وهو الذى تولى تربية سيدى الشيخ الدردابى وأنزله فى داره ، وقد بلغنى أنه أدخله الخلوة بالأسماء الإدرسية .

ومرض الشيخ خليل مرضاً شديداً حتى خافوا عليه الموت ، فقال لهم : إننى لا أموت هنا وإنما أقبض فى بلادى ، فشفى ، ثم سافر إلى إدفو ومكث مدة بها ، ثم مرض فسافر لزيارة تلميذ له مدرس بسوهاج وأقام عنده مدة ، وتوفى بها قبل الثورة المصرية رحمه الله ، وأخبر قبل سفره من السودان أن الشريف الدردابى سيتعب بعده ولا يستقر بالسودان ، فلم يلبث أن صادفته بعض المتاعب وطلبت حكومة السودان منه مغادرة البلاد ، فسافر إلى مصر وبقى بها مدة ، واجتمع به بعض الأحاب التجانيين .

وقد تتلمذ له الشيخ محمد بن المبارك السوسى ، وقد صحبناه زمناً طويلاً ، فرأينا فيه العالم العامل ، والصوفى المشتغل بالعلم والعمل ، قليل الكلام ، دائباً على العبادة مع الابتعاد عن الناس ، عاكفاً على العلم ، لديه مكتبة من أعظم المكتبات الخاصة ، وقد أخذ الإذن لنفسه من سيدى الحاج الحسين الإفرانى وأعطاه التقديم مقيداً يعطى الأوراد ولا يقدم أحداً لإعطائها ، ثم

جاء القطر المصرى والتحق بالأزهر الشريف حتى أصبح من العلماء ، وكان ممتنعاً عن إعطاء الطريق مشتغلاً بنفسه ، ثم قدم سيدى الشريف الدردابى من السودان فى أوائل الحرب العظمى فأخذ عنه وقدمه وأمره بالإعطاء ، فاعتذر محتجاً بأنه قد أخذ على نفسه أن لا يعطى الطريق إلا إذا رزقه الله الفتح ، لأنه يرى أن المحجوب لا يستطيع أن يوصل المحجوب ، ولم يقدم غيره مدة وجوده بمصر فيما علمنا ، فشدد عليه الأمر ، فأعطى الطريق فى بلاد مختلفة وقدم لإعطائها ، ثم حصل له حاصل بحيث أصبح لا يعى ما يقول ، وما زال به من نحو عشر سنوات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ، والشرع يرى أن التكليف ساقط عنه ، فلا يؤاخذ بقوله ولا بعمله ، أسبغ الله علينا وعليه وعلى إخواننا وسائر المسلمين العفو والعافية ، آمين .

وسافر سيدى الشيخ محمد بن أحمد الدردابى بعد أن أقام بالقاهرة وضواحيها والإسكندرية سنوات إلى المغرب ، وأرسل لبعض القوم هنا إجازات منهم من رآه ومنهم من لم يره ، وقد أعطوا الطريق فى بعض البلاد ، وأصله من ضواحي تطوان ، قدم مع مولاي على الحسينى الإدريسى سنة ٢٤ هـ ، وقصد إلى السودان بقصد السفر إلى الحج ، وأعطى الطريقة بالسودان المصرى ، ولما عاد إلى بلاد المغرب أخذ التقديم من القطب الكامل والعارف الواصل سيدى ومولاي محمود بن سيدى البشير بن سيدى محمد الحبيب ابن الشيخ رضى الله عنه .

وقد وردت من تطوان رسالة من سيدى الشريف السيد محمد إمغاره شيخ الزاوية التجانية بتطوان نبأ وفاته إلى رحمة الله تعالى فى صبيحة الجمعة ١١ جماد الأولى سنة ١٣٥٥ هـ ، ودفن يوم السبت ظهراً ، فأحزن قلوباً وروع نفوساً ، كما أرسل أيضاً الشريف سيدى عبد الوهاب بن الميمون الغمارى مقدم الزاوية التجانية بالمصلى بطنجة بذلك ، وكان رضى الله عنه جميل الصورة بهى الطلعة عظيم المحبة فى الشيخ رضى الله عنه ، يبين فضله ولا يعبأ بالمنكرين ، رحمه الله تعالى ، ورضى الله عنه .

١٦ - سيدى الشيخ مبارك السوسى رضى الله عنه

أخذ عن سيدى البشير حفيد الشيخ ، وكان ملازماً للمسجد الحسينى ، وكان ظاهر الصلاح
دائم العبادة والذكر ، كساه الله حلل الأنوار ، حتى لقد كان لوجهه بالنور إشراق وضياء ،
وتوفى رحمه الله قرب سنة ٤٥ هجرية ، ودفن بمصر .

١٧ - سيدى محمد الطيب الوزانى رضى الله عنه

الأديب العلامة ، المحدث الفقيه النسابة ، الحجة الثبت ، كان أعجوبة نادرة فى الحفظ واستحضار النصوص كأنها بين عينيه ، ومعرفة الأنساب والاحتجاج لما يراه منها صحيحاً وما يراه منها باطلاً ، وقد أعطى الطريق بالإسكندرية ومصر للكثيرين ، وتوفى بالإسكندرية إلى رحمة الله تعالى .

١٨ - سيدى السيد محمد الأعتابى رضى الله عنه

أخذ عن سيدى أحمد محمود عن سيدى أحمدو الصغير - الذى ذكر صاحب البغية أنه أخذ عن روحانية الشيخ مباشرة - وأخذ سيدى أحمد محمود عن سيدى العربى بن السائح وعن الفقيه الكنسوسى ، وأخذ سيدى السيد الأعتابى عن مولاي الشيخ النظيفى حفظه الله تعالى ، وأخذ العلم عن سيدنا الفقيه كنون شيخ الجماعة بفاس رضى الله عنه .

وتولى مناصب سامية ، وكان له فى النهضة الإسلامية المشاركة العظيمة ، وسافر إلى الآستانة وألمانيا ، وهو من عظماء القادة فى الإصلاح فى العالم الإسلامى ولهم به ثقة عظمى ، وله خدمات للإسلام والمسلمين ، وهو الرجل الصالح الذاكر ذو الدين المتين ، وحج سنة ٣٢ هـ واستوطن المدينة سنتين ، وقدم مصر سنة ٣٨ هـ ، ومازال مشرفاً أرضنا ، حفظه الله ورعاه .

١٩ - سيدى محمد عبد الواحد التونسى رضى الله عنه

العلامة الأديب ، المشارك اللبيب ، الناسك الذاكر ، وقد اجتمعت به سنة ٤٠ هـ
بالإسكندرية ، وسافر إلى الشام ، وأعطى الطريق بالإسكندرية ومصر ، وأخذنا عنه التقديم
بالمسجد الحسينى ، ثم رجع إلى بلاده رضى الله عنه .

٢٠ - سيدى محمد عبد المالك بن العلمى رضى الله عنه

سيدى محمد عبد المالك بن الصغير بن سيدى محمد بن العلمى بن عبد المالك بن عبد القادر بن معمر بن أحمد بن محمد السائح الشريف الحسنى ، وهو أول من نزل بتفرت خط الجريد بصحراء الجزائر ، ووالدته السيدة فاطمة بنت الطاهر بن الأخضر بن سيدى عبد القادر البوطى بن عبد المالك وهو الذى أرسل إليه الشيخ رضى الله عنه الإجازة قبل أولاد السائح مع سيدى محمد بن المشرى ، وضمن له ألا تخلو داره من الولاية وأن يخرج من ذريته أربعون عارفاً .

وسيدى العلمى رباه الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه ، وسيدى محمد بن العلمى رباه سيدى الحاج على ثم كمل تربيته سيدى محمد الحبيب ، وسيدى الصغير تربى على سيدى أحمد عمار ، وسيدى عبد المالك تربى على سيدى البشير وأتم ولده سيدى محمد الكبير تربيته ، وقد خالطوا دار الشيخ واختلط دمهم بدمهم فإنهم أصهارهم رضى الله عنهم .

ولد سيدى عبد المالك بالحجيرة سنة ١٢٩٧ هجرية ، وقد وهب والده ليلة مولده نصفه للشيخ رضى الله عنه - أى لخدمة الزاوية - وفى سنة ١٣٠١ هـ قضى سيدى البشير حفيد الشيخ رضى الله عنه سنة فى نواحيهم وتزوج خالته السيدة عائشة بنت الطاهر ، وحين عزم على الأوبة طلبت أمه من أختها أن ترجو سيدى البشير أن يتفل فى فم سيدى عبد المالك ، فمسكه وتفل فى فمه ، وتذكر ولده سيدى محمود وقال : إنه فى سنه .

وفى أواخر السنة الثامنة وأوائل السنة التاسعة من القرن قدم إليهم سيدى أحمد عمار وجعل سيدى الصغير خليفة عن أبيه وأذنه ، وبعد مدة كتب له الإجازة بذلك وختمها هو وسيدى البشير ، ثم طلب سيدى أحمد عمار سيدى الصغير ليصحبه فى سفره ، فمكث معه حتى توفى سيدى محمد بن العلمى فى ربيع الأول فى السنة العاشرة وأوصى بسبعين بعيراً لسيدى أحمد عمار ، وثلاثة وأربعين لباقى أولاد الشيخ رضى الله عنه ، وبغلة محملة بالحللى من فضة وذهب للزاوية .

وحين أراد سيدي الصغير السفر لدار الشيخ قابل سيدي محمد العروسي بن سيدي محمد الصغير بن سيدي الحاج علي فشاورة في شأن الهبة التي وهبها في ولده سيدي عبد المالك ، فأشار عليه أن يستسمح شيخ الزاوية سيدي أحمد عمار ، ويفتديه بشئ من المال ، وقال له : إن خدام الشيخ كثيرون ، فحسن لديه ذلك وأخذ سيدي عبد المالك معه إلى عين ماضي ، والتقى بسيدي أحمد عمار فأدى ما أوصى به والده سيدي محمد بن العلمي وكان قد أعد ستمائة ريال ليدفعها عن ولده ، وذكر لسيدي أحمد عمار ما أشار به حفيد سيدي الحاج علي ، فقال : الذي أعرفه أنا لا يعرفه ولد سيدي الحاج علي إنه يوشك أن تضعف عن الخدمة فيقوم هو بها وفيه مصالح للزاوية وأنا لا أترك حق الشيخ ، فقال له : إذا فقد كملت النصف الثاني وهذه ستمائة ريال هي زيارة للشيخ ، وفي عام خمسة عشر توفي سيدي أحمد عمار في قمار ، فسافر مع والده ليعزى أولاد الشيخ ، ومكث هناك يقرأ القرآن مع سيدي محمود بن سيدي البشير وسيدي الطاهر بن سيدي أحمد عمار وسيدي علال ، على سيدي الشيخ عبد الله بن الحسين ، ولقى هناك الشيخ عبد العزيز السملالي من آية أبي عمران ، وكان من خواص أصحاب الشيخ رضى الله عنه فقرأ عليه كذلك ، وكان هو وأولاد الشيخ يصلون الصلوات الخمس معاً ويقرأون معاً . ثم طلبه والده إلى العلية فطلب أن يصحب شيخه الشيخ عبد العزيز السملالي فأتى به والده إلى العلية ، وفي سنة ١٧ هـ تزوج بنت عمه سيدي الحاج محمد بن عبد القادر بن الأخضر بن عبد القادر البوطي ، ثم أصابه مرض طويل وفي خلاله في سنة ١٨ هـ أتاهم خمسون ضيفاً وكان له ستة أشهر ما وقف ، فمشى إلى جده سيدي ابن العلمي وتوسل إلى الله به أن يرزقه بما يكرم به ضيوفه ، فلقية شيخ من أولاد السائح وقال : اقبل هذه الهدية ، فصب له من مزود جلد غزال صغير في برنوسه ، فملأه فصنع لهم الطعام وكفاهم ، وقال أحد الشيوخ : من يوم وفاة سيدي ابن العلمي ما ذقت طعامه إلا اليوم ، ومن يومها وسيدي عبد المالك يطعم الطعام وكان إذ ذاك بالcliffe .

وفي سنة ١٩ هـ سافر إلى سيدي البشير ليلقى بنفسه بين يديه ليريه ، وكان يود لو أنه أمره بالإقامة في الزاوية يقرأ القرآن ويدرس العلم ، فلما اجتمع بسيدي البشير وكان معه أحد الخاصة من مقدمي والده ليخاطب سيدي البشير في أمره ، فأجابه سيدي البشير أنه هو الذي سيتولى تربيته ، وانصرفا راجعين إلى حيث أمر سيدي البشير بإنزالهم ، وكان سيدي عبد المالك قد نسي مسبحته فأرسلها إليه سيدي البشير مع خادمه أحمد بن قنيش فقال له : خذ المسبحة وسيدنا قد أذنك في جميع ما حصل لجدك سيدي محمد بن العلمي ، ثم كتب إلى والده يوصيه به ، وأقام بالعلية ، ثم سافر أخوه إلى الحج وسافر هو إلى سيدنا البشير وأراد أن يهدي له فرسه فقال له : هي مقبولة واقض عليها مصالح الزاوية واذهب إلى الأغواط فأقم بها شهراً وارجع تجد الإجازة مكتوبة ، وجاءهم نبأ وفاة أخيه بمكة ، ثم عاد إلى سيدي البشير فأعطاه الإجازة وتاريخها ١٣ صفر الخير سنة ١٣٢٠ هجرية .

وجاء سيدي البشير إلى العلية سنة ٢١ وقال له : ما جئت إلا لأجلك ، وكان يقول إذا تكلم القوم في حال سيدي عبد المالك وإنفاقه : اتركوا عبد المالك فإن أمره إليّ ، وقام الناس بضيافته وزاد سيدي عبد المالك على الناس ، ثم رافقه إلى وداريق ورجع .

ثم زاره بعد مدة واستأذنه في الحج فأذن له ، وقال له : أنت في ضمان الله ذهاباً وإياباً ، وصرح الحاكم له ولأخيه سيدي العلمي بالحج عام ٢٢ عربي ، وهي أول حجة له ، فحج وزار ورجع إلى بلده بخير ، وأخذ يتردد على شيخه سيدي البشير رضى الله عنه .

وفي عام ٢٥ هجرية شرع في السفر إلى الأقطار الحجازية ومر بتونس وطرابلس ولقى بها الحاج أحمد التوقاتلي وكان من أهل الفتح ومن مقدمي الطريقة التجانية ، ومر بمصر ولقى بها الحاج الهاشمي بالإسكندرية والسادة التجانية ببلييس والعدلية والتقى بسيدنا الشيخ الشنقيطي في غيتا واجتمع بسيدي الشيخ عبد العزيز السمالي الذي كان يقرأ عليه وكان يدرس بالأزهر ، ثم أم المسجد الأقصى بطريق بورسعيد وبافا والتقى بالشيخ البشير شيخ المغاربة بالقدس وكان تجانياً ، وزار سيدنا الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وأقام بالقدس شهراً ، ثم سافر

بطريق البر إلى المدينة المنورة - رغم انقطاع الطريق - فوصل المدينة في ربيع الأول سنة ٢٦ هـ - وبقي بها إلى أول الحج ، وفي هذه المرة حصل له ما حصل من المحبوبة عند المصطفى صلى الله عليه وسلم وإكرامه له والتمتع برؤيته الشريفة ، واجتمع في المدينة بسيدى الحاج عبد القادر المهاجى وكثير من الصالحين وكان السبب في صلته بدار الشيخ رضى الله عنه ، وسافر إلى الحج مع الحمل الشامى واجتمع في مكة بسيدى الطيب السفينانى مقدم زاوية الشيخ الكبرى بفاس رضى الله عنه ، والسيد محمد بن عبد الرحمن الشنقيطى مقدم الطريق بمكة ، وسافر إلى جدة وأراد السفر إلى الشام ثم يعود إلى المدينة ، فرأى والدته فى رؤيا فهم منها الرجوع إلى بلده فرجع ، واجتمع بالمقدم الشيخ الدادسى بسوسه ، وزار سيدى إبراهيم الرياحى بتونس ، ثم سافر إلى بسكره ولقيه أخوه سيدى العلمى وجماعة وطلبوا منه السفر إلى بلدهم ، فقال : حتى أبدأ بزيارة سيدى البشير وأولاد سيدنا رضى الله عنه ، فسافر إليهم والمسافة خمسة عشر يوماً ، ولما وقع بصره على الزاوية نزل فمشى على أقدامه حتى وصل المسجد ، ولم يعرفه أحد من المسجد إلا سيدى محمود وعرفهم به بعد الصلاة ، وأسرع خادم الشيخ سيدى البشير ليشهره بقدم سيدى عبد المالك ، فخاطبه سيدى البشير من أعلى البنيان وقال له : رأيته قبلك ، وأبقاه سيدى البشير عنده شهراً بكوردان وعين ماضى ، وكان سيدى عبد المالك لا يأكل من الزاوية كما هى وصية جده سيدى محمد بن العلمى ، ويوم انتهى زاده الذى معه أذن له سيدى البشير بالسفر ، وزارهم سيدى محمود ثم سيدى علال .

ثم سافر هو لزيارة سيدى البشير ليستأذنه فى زيارة الشيخ بفاس ، فأذن له ، ولقى سيدى الطيب السفينانى رضى الله عنه وقال له : إنى أذنتك بإذن الشيخ رضى الله عنه أنت مأذون فى كل ما كان يأذن فيه سيدى أحمد التجانى فى الحياة وبعد الوفاة ، فقال فى نفسه : وهل بعد الموت من إذن ، فقال له : إن العبادة فى الحياة الأخرى عبادة تلذذ لا تكليف .

ووقع له من برزخية الشيخ أن يقرأ مائة ألف من صلاة الفاتح نيابة عن سيدى البشير ، فما أتمها حتى اشتد به الشوق إليه وخطر له هل يوافيه حياً أو لا ، وسافر بعد أن أقام اثنى عشر

يوماً ، ورأى رؤيا تدل على وفاة سيدي البشير ، ومر بسيدي علال بن سيدي أحمد عمار ففرح به غاية الفرح وأتى بولده وقال له : قل عن سيدي عبد المالك إن شاء الله يربح ، فقال ذلك ، وقال له : اطلب ما تريد ، فقال : يا سيدي أطلب محبتكم دنيا وأخرى ، وأذن له بالسفر إلى سيدي البشير فوجده على وشك الاحتضار ، فقال له : يا سيدي أريد التجديد في كل شؤون الطريق ما ظهر منها وما بطن ، فقال له : إن ذلك كله قد حصل لك من قبل .

وتوفى رضى الله عنه أواخر سنة ٢٧ هـ أو أوائل سنة ٢٨ هـ ، وتولى سيدي علال ، وكان سيدي عبد المالك يتردد على زيارة دار الشيخ كعادة أبيه وجده كل سنة مرتين .

وفى سنة ٣١ هـ سافر إلى الحج ومعه ولده سيدي البشير ، وأقام بالمدينة خمس سنوات كل سنة يحج ، ووقع له من الفتوحات والكرامات والاجتماع به صلى الله عليه وسلم والمحبوبة عنده ما الله أعلم به ، وأخبرني أنه كان يقرأ ٥٠٠٠ من صلاة الفاتح بعد كل صلاة رضى الله عنه ، واعتكف سبعة شهور في الحرم المدني وثلاثة في مكة ، وتوفى ولده البشير سنة ٣٤ هـ أو ٣٥ هـ .

وقدم الوفد المغربي سنة ٣٦ هـ وكان معهم أحد قواد القبائل قال عنه سيدي عبد المالك : هذا السيد يجاور أمتنا خديجة ، وكان ذلك وقت الضحى فما جاء الظهر إلا وقد توفى إلى رحمة الله ، وأخذ الشريف القاضى بن حبيلس عنه الطريق عند مقام سيدنا إبراهيم فى الحرم الشريف.

ثم سافر إلى المغرب ، وحفظهم الله من الغواصات ، ومر بتماسين وكان الخليفة بها سيدي البشير بن سيدي حم ، فقال لمن حضر : اليوم كأنكم تلاقيتهم مع سيد الوجود صلى الله عليه وسلم والشيخ سيدي أحمد التجانى .

وسافر إلى بلده واجتمع بالحكام والأعيان وتكلم معهم بأن الهنود لهم أربطة والطرق لها زوايا بالمدينة ، فلماذا لا يكون للسادة التجانية زاوية ؟ فأشار عليه بعضهم بأن يرجع إلى خليفة الطريقة سيدي علال فى ذلك ، فلما سافر إلى سيدي علال وقال له : اطلب ما تحب ، قال لى

سيدي عبد المالك رحمه الله تعالى : فالحق سبحانه وتعالى نزع ما فى قلبى وما ورد على إلا أنه سيتوفى ، فقلت له : يا سيدي اطلب لى الموت على الإيمان ، فكسته صفرة وبقى ساعتين لا يتكلم ثم قرأ لى الفاتحة .

وبعدها بزمن توفى رضى الله عنه وتولى الخلافة سيدي محمد الكبير وهو أسن من سيدي علال وجدد له الإذن ، ثم سافر إلى فاس ولقى بها سيدي محمود فكتب له خطابات للأحباب فى مختلف البلدان ، فأداها ثم عاد إلى فاس ثم رجع إلى عين ماضى ، وأذن له سيدي محمد فى السفر إلى أبى سمغون وتوات والهجار والصحارى ، وكان يطعم الناس ويكرمهم فى كل سياحاته وهو الذى يضيفهم ، وعاد إلى عين ماضى .

ثم سافر إلى الحج سنة ٤١ هـ فوافى الحج وكانت الوقفة الاثنين ، وفى هذه السنة وقع للحجاج خوف شديد ، وقيل له : إن ١٧٠٠٠ حاج ردوا ولم يصلوا للمدينة ، وما بقيت إلا قافلة الشيخ أحمد شمس والبدو لا يؤذونها ، فقال لهم : والشيخ سيدي أحمد التجانى ما له قافلة هنا ؟ فقيل له : إن هنا خمسة أبعرة مسافرة إلى المدينة ، فقال : تلك قافلة الشيخ ، وتوجه إلى المدينة وكان برفقته سيد من ذرية سيدنا السيد محمد بن المختار الشنقيطى ، صاحب الواردات ومولد إنسان الكمال وقد تقدمت ترجمته ، وكان سائراً لزيارته صلى الله عليه وسلم على قدميه فرأى صفأ من العسكر على يمينهم و صفأ على يسارهم وآخر خلفهم وكل فى يده حربة من نار حتى فتح لهم باب فشاهدوا منه المصطفى صلى الله عليه وسلم فصار كل يسلم عليه صلى الله عليه وسلم ، ولقيهم البدو فى محطة الغابة ومعهم البنادق فنزلوا عن الجمال حتى وصلوا إليهم فسلم عليهم سيدي عبد المالك وقال لهم : ما مرادكم نعطيكم الفاتحة أم نسوى لكم الرز ؟ بل نعطيكم الفاتحة أولاً ، ثم قرأ لهم الفاتحة وهياً لهم الطعام والشاى ، ثم عاهدهم على الصلاة وتابوا عن الدخان ، ونزل عندهم تلك الليلة ، وصنع لهم قصعة للرجال وأخرى للنساء وثالثة للأولاد ، ودخلوا المدينة بخير .

وفى هذه السنة تفاوض مع سيدنا الشيخ ألفا هاشم فى أمر الزاوية فى المدينة ، وطلب منهم أن يكتبوا لخليفة الطريقة سيدى محمد الكبير يستأذنونهم فى ذلك ، فكتبوا إليه معه ، ومر بمصر فى عودته من الحج ، وقد تشرفنا بالاجتماع به فى أوائل سنة ١٣٤٢ هـ ونحمد الله حيث من علينا بمحبته وصحبته ، وقد أفاض الله الخير لنا على يديه ، جزاه الله عنا وعن الطريق والمسلمين خير الجزاء ، فلقد كان رحمة عامة للخلق رضى الله عنه .

ولما اجتمع بسيدى محمد الكبير بعين ماضى عرض عليه أمر الزاوية ، فكتب إلى الشيخ ألفا هاشم والأحباب بالمدينة يأذنهم فى إقامة الزاوية ، وقال لهم : ها هو ذا قادم إليكم السيد عبد المالك فما فعل فأطيعوه ، فتوجه إلى الحج سنة ١٣٤٢ هـ وكانت حجة الجمعة آخر سنة من حكم الشريف حسين ، ومنع الشريف الوصول إلى المدينة إلا من طريق العقبة فمعان فالمدينة ، فأخذ صاحبه سيدى أحمد بن العباس السائحي وسافر إلى رابغ ومنها سافر فى القافلة إلى المدينة ووصل قبل من سافر بالباخرة والقطار ، وأعطى الخطاب للشيخ ألفا هاشم فتكلموا مع أولاد مكوار فى بيت باب السلام وحصل الاتفاق على ١٢٠٠ جنيه ، والحاج محمد مكوار من خواص أهل هذه الطريقة المشرفة ، وقد زار القطر المصرى واجتمعنا به فى الكتامية ، وكان يمثل المحب الخالص الود الصادق المحبة الخادم لإخوانه أكمل خدمة ، وقد توفى بين ينبع والمدينة فى ذى الحجة سنة ١٣٤١ هـ رحمه الله تعالى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((طوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر)) ، وقد أراد الله عز وجل أن يكون هذا الخير - وهو وجود زاوية للسادة التجانية فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم - على يد ذلك الولى الكامل سيدى محمد عبد المالك رضى الله عنه فاختاره الله لهذه المكرمة واختارها له ، والله أعلم حيث يجعل فضله وخيره ، والزاوية التجانية بجوار باب السلام ويرى الجالس بها الداخل إلى الحرم الشريف والمصلين ، ويسمع النداء للصلاة ، فى لها من منة ، رزقنا الله عز وجل جواره صلى الله عليه وسلم .

وقد اشترى دوراً ووقفها لزوار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولا يزال الإنفاق والإطعام والإكرام قائماً لأضياف المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأعد إحداها لمدرسة خيرية إسلامية وإنها لصدقة جارية له أجراها إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى ، وكان فى كل سنة يحج ويزور المصطفى صلى الله عليه وسلم ويسافر إلى بيت المقدس ، وكان يتجول فى الشام ولبنان ويمر فى بعض شرق الأردن ، ومن قبل سافر إلى العراق ووصل إلى ماردين وأعطى بها الطريق ، وقد اجتمعنا ببعض التجانيين منها بالحج ، وكان يعود إلى المغرب فيقصد دار الشيخ بعين ماضى بالصحراء ، ويمر بداره فينفق كل ما عنده ، ويتجول بالمغرب كله والصحارى ، وزار الشيخ رضى الله عنه مراراً واجتمع بأكابر السادة التجانية بأفحاءه .

وإن ما كان يقوم به سيدى عبد المالك من الإنفاق لشئ مدهش محير ، فقد كان حيثما كان فى المغرب أو المشرق يضيف الناس ، فهو خير كله حيثما توجه ، وكان يسافر فى بلاد المغرب بقافلته الخاصة فيضيف القرية التى ينزل بها بأجمعها رجالاً ونساءً وأطفالاً ، وشأنه ((أنفق بلائاً ولا تخش من ذى العرش إقلاً)) .

وكان فى عزمه أن يشتري زوايا ويوقفها فى مكة وجدة وينبع والسويس وبورسعيد والإسكندرية بحيث يجد الحاج راحته حيثما كان ، وكان فى عزمه أن يخاطب الحكومات التى فى طريق البر من المغرب إلى الحجاز فى التصريح له ولقافلته ولمن يشاء بالمسير براً إلى الأقطار الحجازية ، وأمرنى أن أسافر إلى السودان لأعرف طريق السفر ، وقال لى : عليك أن تخبر الطريق إلى الجنية بالسودان المصرى ، واختار هو أن يسافر فى الطريق الأشق الأصعب الذى يجتاز الصحراء الكبرى بأفريقيا وهى التى يضل فيها الخريت حتى يصل إلى الجنية ، فعاجلته المنية وقد وقع أجره على الله وله ثواب ذلك كله ، فقد كان صادق العزم رحمه الله تعالى .

وهو الذى أمر بإلحاق مكتب لتعليم القرآن بالزاوية التجانية بكفر إبراهيم شرقية ، وكان يشير بأن يلحق بكل زاوية مدرسة لتعليم العلم والقرآن حيث يحتاج لذلك ، وكنت ترى بيته بمكة يؤمه الوفود بالمئات أفواجا ، وفى منى يقيم السرادق بالمسجد ويقبل الكافة على طعامه ليلاً

ونهاراً ، ويضع السقايات للماء يستقى من شاء كما شاء ، وكلما فرغت ملئت طوال أيام منى وبمسجد نمرة وعرفة ، أما فى المدينة فحدث ولا حرج عن الكرم الفياض واما كان يجريه على خدمة الحرم والفقراء وأهل الخير ، وحدث عن النفقة المدهشة والزاوية لا تزال ملاءى بالأضياف - ليلاً ونهاراً وكذلك الدور وهو قائم بالخدمة بنفسه - وأصحابه مثل حبيبه سيدى الحاج عبد القادر الزواوى من أهل المدينة بالجزائر والمهندس وشاهين وابن سعيد ، وترى الطسوت ملاءى بالأرز والزبيب واللوز والكسكى وعليها الذبائح والطعام الفاخر الشهى الهنى ، وهو لا يمل كله بشاشة وتواضع ومهابة ، ترون فيه الكرم مجسماً والخلق الفضل والسخاء والأريحية ، مع الجد فى العبادة والفناء الكامل فى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويقضى الليل عابداً لله فى المسجد الشريف ، وكان له خصوصية أن يبيت بيت الله فى الحرم المدنى ، وكان الخدم لا يخرجونه منه ، وكان يقيم المولد ببيت المقدس بالزاوية بالحرم ، فتفد الأمم على طعامه وهو الذى يخدمهم رضى الله عنه ، وفى بلبس أقام المولد وكان يوم السوق فتسامع الناس فجاءوا وأكلوا ، وإنها لبركة ظاهرة ، وكان لأصحابه خيراً من آبائهم وأهليهم .

ولقد كان محمدياً من كمل الورثة الذين تحققوا بمقام الخلافة والتربية العملية ، ولقد كان رضى الله عنه عالماً ربانياً أفاض الله عليه من العلم اللدنى من غير تعليم ظاهر ما يجريه سبحانه على خاصة أصحابه ، ولقد سأله فى بنها أمامنا الأستاذ الفاضل الشيخ إبراهيم عبد المتعال عالم عرب الرمل فى جمع من أهل العلم عن بعض الحقائق الإلهية وخاض معه فى المقام المحمدى ، فشرع يتكلم ويفيض وأبدى من الأسرار الربانية والحقائق العرفانية ما لا يدركه إلا العلماء الربانيون حتى أدركتنا الحيرة ، رحمه الله تعالى .

وقد شهد له الأكابر بالولاية الكبرى وبلوغ مرتبة التربية الخاصة ، منهم سيدى البشير حفيد الشيخ ورأينا كتابته بذلك ، وسيدنا الشيخ الشنقيطى .

وقد كان سريع الإجابة يجرى الله الحكمة على لسانه بالقول الفصل ، قال له الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد القصاص أحد أفاضل العلماء بالعريش وقد رأى حاله وزهده وكرمه : لقد طلقت

الدنيا يا شيخ عبد المالك ، فقال له : ما تزوجتها والله الحمد ، وكان يحب العريش وأهل العريش وخصوصاً المقدم الشيخ رضوان محمد .

أما صبره فى مرضه وتسليمه لله فشئ عجب ، وكان لا ينقطع عن عباداته النوافل حتى وهو مريض ، وكان محافظاً على الوضوء دائماً ، وقد رأيناه توضأ بين المغرب والعشاء فوق عشرة مرات وهو مريض كل مرة يصلى ركعتين ، أما كراماته وخوارق العادات التى وقعت على يده فكثيرة ويحسن أن تفرد بالتأليف ، وأغلب أموره خارقة للعادة فقد نشأ فى حجر الولاية فهو ولى من الصغر ، طبعه الله على المكارم ، ورباه الله بأعينه واصطنعه لخدمة عباده .

ومما وقع له وهو صبى صغير أن امرأة حبلى سألته : ماذا فى بطنى يا عبد المالك ؟

فقال لها : فى بطنك حوارة ، أى ناقة صغيرة ، وقد ولدت بالفعل مخلوقاً على صورة ناقة صغيرة ، وإنما أنطقه الله ، ومن مكارمه أنه أرسل أخاه سيدى اللقانى يخطب له امرأة فلما تكلم عنها تكلم ابن عم لها فقال : لقد كنت أريدها لنفسى ، فقال أهلها : إن سيدى عبد المالك أولى ودفع الصداق فعلاً ، فأخبره أخوه أنهم آثروه على ابن عمها ، فأمره سيدى عبد المالك أن يرجع إليهم ويخبرهم أن ما دفعه هو هدية إليها وأصدقها من عنده لابن عمها .

وقد كان السبب فى تعريف أهل المشرق بدار الشيخ سيدى أحمد التجانى ، كالسيد أحمد الدادسى مقدم القدس الشريف ، والشهيد الشيخ عز الدين القسام ، وحسين أفندى محمد طه بجيفا ، والسيد على الدقر علامة الشام ، وكان الواسطة فى تشرف الكثيرين بإذن سيدى محمد الكبير خليفة الطريقة التجانية الأكبر ، ثم من بعده صنوه سيدى محمود وأولاد الشيخ رضى الله عنهم ، وقد كان شأنه الإيثار على نفسه رحمه الله ، لقد كان لله كله .

وقد سرى حاله فى أهل الطريق فشعروا بحياة جديدة وروح فاضلة ، وعلم من اتصلوا به أن يوحدا الوجهة فى الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه ، وأن يعلموا أن كل من تشرف بالنيابة عنه إنما هو مبلغ عن الشيخ ، فيجب احترام الجميع وتعظيمهم وعدم التفريق بينهم وأن يعرفوا لكل منهم ميزته ورتبته ، وحيث إن أولاد الشيخ رضى الله عنهم ميزتهم معروفة ثابتة

فيجب على كل من له تعلق بالشيخ رضى الله عنه أن يحرص على الوصلة بهم وتوثيق روابط الود القلبي بجنابهم والقيام بحقوقهم لأنهم أبناء الشيخ رضى الله عنه البنوة الروحية التى بها تشرف كل من كان من أهل هذه الطريقة فهم شركاؤهم فيها ، وهم أبنائوه البنوة الجسمانية وهذه لم يشركهم فيها غيرهم فلهم الاتصال الحسى والمعنوى فهم أولاد قلبه وروحه وسره وحسه ، وقد بين صاحب المنية فضلهم وقد عرضها مؤلفها على سيدى محمد الحبيب ابن الشيخ وأقره عليها .

ومن كلام سيدى عبد المالك فى ذلك : "إننا إذا أردنا أن نجعل أى شيخ من مشايخ الطريق هو المرجع الأعلى لأهلها فى شؤونهم الخاصة بالطريق لتعذر ذلك لاتساع نطاق الأحياب فى مختلف البلاد ، وقد يشتهر رجل فى ناحية ولا يعرف فى ناحية أخرى ، أو لاختلاف الناس فى التقدير ، ولكن فضل أولاد الشيخ متفق عليه بين أهل الطريق ، ومن تعمد عدم الاتصال بهم فمحبته للشيخ رضى الله عنه مدخولة ، فيجب أن يكون من يتولى الخلافة الظاهرة من أولاد الشيخ رضى الله عنه هو المرجع الأعلى لشؤون أحياب الطريق فى المعمورة كافة ، والحمد لله إن من تولى هذه الخلافة إلى الآن هو أهل للخلافة تتحقق فيه الولاية ومقام المشيخة وحمل السر وبذلك تتوحد الكلمة بين سائر الأحياب فى المشرق والمغرب ، وليحب كل شيخه الذى أخذ عنه ما شاء ويعتقد فيه ما أراه الله له ، فإن كل المزايا التى تظهر فى أصحاب الشيخ مرجعها إلى الشيخ رضى الله عنه " .

ونحمد الله حيث تشرفنا بصحبته فى الحج مرتين ، وبالسفر فى معيته إلى المسجد الأقصى مراراً ، وإلى الشام وبعض شرق الأردن ، وزرنا أنبياء الله عليهم السلام ، وقد رأينا من مكارم أخلاقه وتواضعه وكريم شيمه ما يقصر الوصف عنه ، وقرأت معه مشاهد سيدى الحاج على حرازم ، وقسماً كبيراً من الجامع لجدته سيدى محمد بن المشرى رضى الله عنه ، وقد أذن لى بكل ما لديه الإذن فيه وكان ذلك بالحرم المدنى الشريف والمسجد الأقصى .

وقد كان قلبه معلقاً بالحج والزيارة ، يلهج بالمدينة وفضلها ، تمكنت محبة الرسول صلى الله عليه وسلم من سويداء قلبه ، فبدت آثارها عليه واضحة ، وحج عشرين حجة ، واجتمعت عليه الكلمة ، وكان أبعد الناس عن الدعوة ، لا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً ، ذا همة عالية تطوى له السبل ، عظيم الثقة بربه ، شمل وده وبره كل من اتصل به من غير تفريق بين طائفة أو جنس ، يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ، ولقد كان نفسه رحمة ووجوده بركة ورؤيته سعادة وصحبته حياة .

توفى رضى الله تعالى عنه بتونس ليلة الاثنين ١١ شعبان سنة ١٣٥٣ هـ وهو فى خدمة أولاد الشيخ رضى الله عنه وخدمة الطريق وخدمة المسلمين ، وحمل بالسيارة إلى بلده ودفن فى ضريح جده سيدى محمد بن العلمى فى موضع اعتكف فيه ستة أشهر رحمه الله تعالى ، وقد انتفع به من الخلق من يعسر إحصاؤهم ، وتخرج عليه كمل فضلاء ، رضى الله عنه .

والخير فى دارهم وفى إخوته وأبنائه باق متصل إن شاء الله ، وقد جعل أخاه سيدى محمد اللقانى خليفة عنه ظاهراً وباطناً ، وأذنه بكل ما لديه من الأمور ، والحمد لله فى دار سيدى محمد بن العلمى عامرة بالخير وأهله أهل خير ، وقد قام بالأمر من بعده .

فنسأله سبحانه أن يقويه وأن ينصره ، وقد أخذ عن سيدى علال بن سيدى أحمد عمار الذى تولى الخلافة قبل سيدى محمد الكبير ، وهو صادق المحبة لسيدى عبد المالك وحج وزار المصطفى صلى الله عليه وسلم وزار بيت المقدس كما كان يفعل سيدى عبد المالك ، واجتمع به الأحاب فى مصر وغيرها وفرحوا برؤيته ، جعله الله خير خلف عن أخيه رضى الله عنه .

٢١ - سيدى الشيخ محمد عبد الله الخرشى الشنقيطى العلوى رضى الله عنه

هو من السادة العلويين بشنقيط ، وقدم هنا فى طريقه للحج سنة ٤٣ هـ ومعه سيدى الشيخ محمد السالك ابن عمه والشيخ محمد موسى وهما من تلاميذه ، وكان رحمه الله تعالى الصورة الباقية للسلف الصالح ، يدهش من عاشره لصدق حاله وحرصه على الشريعة وأمانته فى العلم وسعة حفظه ، واقفاً عند الحدود الشرعية كمال الوقوف مع معرفة تامة وخشية من الله صادقة ، وقد مر بسيدى محمد الكبير وأخذ عنه ، وأقام بعين ماضى مدة ، وأذنه سيدى محمد الكبير ، وأقام بمصر سنوات فى غدوته للحج وروحته ، وكان موضع ثقة العلماء ومرجعاً لهم ، مطلعاً مستحضراً لنصوص الفقه بصورة عجيبة ، وكان شأنه الاحتياط والورع ، يعيش معيشة السلف الصالح مثل العبد الصالح لا يذكر أحداً بسوء قط ولا يذكر عنده ، ولا ينظر نظرة مكروهة أبداً ، بينه وبين الدنيا وأهل الدنيا حجاب .

وكنت معه بكفر إبراهيم بدار السداوى فجاءت امرأة تطلب منه الدعاء وأرادت مصافحته وجعلت على يدها حائلاً ، فحول وجهه إلى الحائط ولم ينظر إليها ، وقال : لا مصافحة بين الرجال والنساء ، وما صافح امرأة أجنبية قط لا بجائل ولا بغير حائل ، وسافر إلى المغرب وتوفى به رضى الله عنه .

٢٢ - سيدى الشيخ عمر الرياحى رضى الله عنه

هو حفيد شيخ الإسلام وقطب الأنام سيدى الشيخ إبراهيم الرياحى التونسى رضى الله عنه وألف فى مناقب جده تعطير النواحي ، فهو خير خلف لخير سلف ، وقد أرسل لبعض الأحاباب فى مصر الإذن ، وله أسانيد كثيرة منها سيدى بلقاسم عن والده سيدى محمد بن قاسم المكناسى صاحب الشيخ رضى الله عنه ، وشرف هذه الديار فى أواخر شعبان فى هذه السنة ، ولم يمكث إلا زمناً قليلاً ، وأخذ عنه بعض الأحاباب ، ونزل مدة بدار مولاي على الحسينى ثم دار العلامة الفاضل السيد محمد الخضر التونسى حفظه الله تعالى ، ثم سافر إلى الإسكندرية فتونس ، وكان قادماً من الشام وفلسطين ، حفظه الله ورعاه .

٢٣ - سيدى الحاج أحمد سكيرج رضى الله عنه

حامل السر المحمدى ، ووارث النور الأحمدي ، علم الطريق ومرجع التحقيق سيدى الحاج أحمد بن الحاج العياشى بن الحاج عبد الرحمن بن البرنوس سكيرج الخزرجى الأنصارى ، ولد رضى الله عنه بفاس فى شهر ربيع الثانى سنة ١٢٩٥ هـ ، ولما توفى الشيخ رضى الله عنه كان جده ابن تسع سنوات ، وكان يقرأ عشرة آلاف من صلاة الفاتح فى اليوم ، وكان يأخذ سيدى الحاج أحمد وأخاه إلى الزاوية وهما صغيران ، وتوفى سنة ١٣١١ هـ .

أما والده سيدى الحاج العياشى فقد جاهد وحج واعتمر ، وطلب فى مواجهة المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يرزقه الله ولداً صالحاً ينتفع به الناس ويجرى الله على يديه مصالح العباد ، وقد استجاب الله دعوته ، والله الحمد .

وقرأ القرآن على الفقيه المدرس سيدى محمد بن الهاشمى الكتامى ، وأما جده لوالدته فقد أخذ عن الشيخ مباشرة ، وفى سنة ١٣٠٩ هـ التحق مع أخيه سيدى محمد بدروس العلم بمسجد القرويين بفاس وهو كالأزهر بمصر ، وكان التحصيل فى أول أمره شاقاً عليه حتى اجتمع بشيخه سيدى الحبيب بن سيدى الحاج الداودى التلمسانى فشكا له حاله ، فقال : إنك لم تهتد لطريقة التعلم والتعليم ، فإن السبيل السهلة فى الوصول للمقصود نصف الفهم ونصف الحفظ ، فسهل الله عليه العلم والفهم ، وأخذ عن العارف بالله سيدى إدريس عمور الفاسى ، وفى سنة ١٣١٤ هـ ألف رسالته المحررة فى الفرائض ، فأعجب بها شيخه وكل من رآها .

وأخذ الحديث عن مولاي عبد الله بن إدريس البكراوى وكان مفتوحاً عليه ، وكان يحدث تلاميذه بما يصنعون فى خلواتهم بطريق الكشف ، فكانوا يتخرجون من إتيان ما لا يحسن .

وأخذ الإذن بالأوراد اللازمة عن الفقيه العلامة سيدى محمد كنون بمحراب زاوية الشيخ رضى الله عنه وهو عن سيدى العربى بن السائح والشيخ التجانى بن باب وغيرهما - وأسانيدهما معروفة - ثم عن مولاي عبد المالك الضرير وكان مشهوراً بالفتح وهو ممن يجتمع بالمصطفى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة ، وقد أفردت مناقبه بالتأليف .

ثم اجتمع بالعارف الكامل سيدى أحمد العبدلاوى سنة ١٣١٦ هـ ولزم صحبته وقرأ عليه المشاهد لسيدى الحاج على حرازم والجامع لسيدى ابن المشرى ، وأخذ عنه أسراراً وأنواراً ، وأطلعه على كناشه الخاص الذى جمع فيه رسائل الشيخ وخاصة أصحابه ، وأخى بينه وبين ولده سيدى محمد فكان لا يكتم عنه شيئاً ، وكان يبين له حقائق الأسرار وأخبار أصحاب الشيخ ، وأخبره أنه لما اجتمع بسيدنا الفقيه الكنسوسى بمراكش أراد أن يدخله الخلوة التى عنده بالزاوية وهى التى أدخل إليها سيدى العربى بن السائح ، فامتنع لأنه كان فى مصالح أولاد الشيخ رضى الله عنه ، ورجع إليهم ، ولما رجع مرة أخرى مكنه مما طلب ، وقال : يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، فرجع ، وكان يحفظ الفتوحات المكية عن ظهر قلب ، وهو رضى الله عنه من أحفاد الولى الصالح سيدى عبد الله - المدفون بأحد أبواب تونس - المشهور ، وولد قبل وفاة الشيخ بشهرين ، ولم يميت حتى انفتحت جوهرة الذكر فى قلبه فكان قلبه يذكر دائماً ذكر بلسانه أو لم يذكر ، ووالده سيدى محمد بن قويدر وهو الذى كان الغاسل يغسله وهو يقرأ معه صلاة الفاتح ، وكان محبوباً لدى سيدى محمد الحبيب رضى الله عنه ومرافقاً له وملازماً وكانا يقرآن معاً ، وقد اطلع على الخزانة الخاصة بالكناش المكتوم ، وكان موضع أسرار دار الشيخ رضى الله عنه .

وإليه ينتسب فى الطريقة التجانية المشرفة ، وهو والده الروحى وصاحب تربيته الخصوصية ، وله عنه الإطلاق الكامل عن سيدى الحاج على التماسينى رضى الله عنه ، وقد قدمه غيره منهم سيدى الطيب السفينانى كتب له التقديم بيده عندما أراد الحج عام ٣٤ هـ ، وكذلك من القاضى أبو العباس سيدى حميد بنانى عن سيدى علال الفاسى خطيب الحضرة الشريفة عن سيدى أبو عزة بن سيدى الحاج على حرازم عن سيدى محمد بن عبد الواحد بنانى المصرى عن سيدى الحاج على حرازم براده ، وأخذ عن والده سيدى الحاج على حرازم بدون وساطة سيدى البنانى ، واجتمع بكثيرين من أهل الخاصة فكانوا يتبادلون معه الإجازة وهو المعروف بالتدبيج ، وأذنه سيدى محمود بن سيدى البشير حفيد الشيخ رضى الله عنه بكل ما طلب فى الطريق ، ولما

التقى بسيدى محمد الكبير بن الشيخ رضى الله عنه قال : اكتب لنفسك ما تشاء ، فأجازه به ، وهو آخر سند له رضى الله عنه ، وأنشده سيدى أحمد العبدلاوى ما أنشده الفقيه الكنسوسى :

وإذا أراد الله نـصـرة عبـده كانت له أعداؤه أنصاراً

وإذا أراد خلاصه من هلكة أجرى له فى نارها أنهاراً

وأول قصيدة نظمها فى مدح الشيخ رضى الله عنه سنة ١٣١٦ هـ مطلعها :

داعى الغرام ببحره القانى وسقى فؤادى بالرحيق القانى

فتسمت ريح القبول بعرفه والقول يهتف من قدود البان

وحصل جملة فنون مما تقر به العيون ، وفى عام ١٣١٨ هـ درس بالقرويين متطوعاً ، وكان مشايخه يعتقدون فيه البركة والخير ، وفى سنة ٢٠ هـ عين مدرساً رسمياً فى القرويين ، وكان عظيم الإجلال لشيخه ، حفيماً بهم ، وألف وأفاد وأجاد ، وأول مؤلف له الكوكب الوهاج فى سنة ١٣١٨ هـ ، ولما أطلع سيدى محمد العبدلاوى والده على كشف الحجاب استحسنته غاية الاستحسان ، وبشر سيدنا رضى الله عنه : احمد الله على ما أنعم به عليك ، وإنك والله خليفة عن الشيخ رضى الله عنه ، ونائب عنه فيما أكرمك الله به .

وكان يقول والده : إن ولدى أحمد هو دعوتى التى دعوتها عند شربى من ماء زمزم وأخذى بشباك ضريح النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى سنة ٢٠ هـ تزوج وولد له سيدى عبد الكريم سنة ١٣٢٢ هـ ، وسماه بهذا الاسم حباً فى شيخه سيدى الحاج عبد الكريم بنيس وقد أخذ عنه أسراراً وأنواراً ، وقرأ عليه الفتوحات والإنسان الكامل والفصوص وغيرها ، وحل له رموزها وأوقفه على حقائقها فاتضحت له عبارة الشيخ الأكبر فى سائر كتبه .

وفى عام ١٣٢٥ هـ سافر إلى مكناس بطلب نقيب الأشراف العلامة مولاي عبد الرحمن بن زيدان ، واجتمع هناك بعلماء فضلاء ، وقضى فى المذاكرة معهم مدة ومشاهدة آثار الفتح ، وألف فى ذلك الرحلة الزيدانية ، وزار طنجة فى سنة ١٣٢٨ هـ ، وفى سنة ١٣٢٩ هـ استدعاه

سيدي الحبيب بن عبد المالك إلى وهران فسافر إليه واجتمع بها بجمع من الأفاضل ، ثم عاد لفاس ، وفي هذه السنة قدم إلى فاس سيدنا محمود ابن الشيخ رضى الله عنه وتجول بالمغرب الأقصى ، فرافقه في تجواله أربعة أشهر ، ثم أقام بطنجة وتعارف مع باشاها سيدي الحاج محمد الزكاري .

وطلب للعمل في نظارة أحباس فاس الجديد فأقام بها أربع سنوات ، وفي سنة ١٣٣٤ هـ توجه للحج وعينته الحكومة الشريفة نائبا عنها في تهئة الملك حسين باستقلال الحجاز ، ومر بمرسيليا وباريس ذهاباً وإياباً ، وقلدته الحكومة الشريفة نشان الاحترام ، وكذلك الحكومة التونسية عند اجتماع جمعية أوقاف الحرمين الشريفين في العام الكائن بعد الحج المذكور ، ثم انتقل من النظارة إلى القضاء بمدينة وجدة فلم ترق الولاية في نظره وأراد اعتزال الولاية ، فكتب قصيدة لوزير العدلية الشيخ أبو شعيب الدكالي يستقيل فيها من القضاء مطلعها :

إن القضاء قضي على بوجدة يا ليتنى أو وجدة لم توجد

ثم تولى عضوية المحكمة العليا برباط الفتح ، ثم عاد إلى القضاء بثغر الجديدة في شعبان ١٣٤٢ هـ ، وهو الآن قاضي مدينة سطات بالمغرب الأقصى ، وقل ما شئت في علمه وأدبه ومعرفته وحكمه .

وقد تشرفت الديار المصرية بقدمه عام ١٣٥٢ هـ ، وفي ذلك وضعت ذكرى زيارة سيدي الحاج أحمد سكيرج للقطر المصري والأرض الحجازية ، واجتمع به العلماء واستناروا بنوره وأدبه وفضله ، وأقيمت الاحتفالات والمهرجانات لقدمه ، وكان الناس يزدحمون على التبرك به عامتهم وخاصتهم من العلماء والأدباء ، ومدحوه بقصائد وخطب ، وقد ذكر بعضها في الذكرى .

وقد أخذ عنه جل المقدمين في هذا القطر ممن أخذ من قبل ، ومن أخذ عنه بالمغرب قديماً الشيخ محمد بن المأمون الوليشكى المتوفى ببوق القريية من القوصية بمديرية أسيوط وقد أخذ عن الفقيه كنون أيضاً وأعطى الطريقة بتلك النواحي ، وشيخ زاوية تطوان التجانية - وهو من

خاصة الخاصة من أصحابه - سيدى الشريف السيد محمد إمغاره بالمغرب الأقصى وقد مر حاجاً بالإسكندرية ، وهو علامة فاضل جاد فى السير إلى ربه متمسك بجبل هذه الطريقة متمكن من أسرارها ، بارك الله فى حياته وأعزه الله وأعز به ، آمين .

وقد توثقت عرى المحبة بين سيدى سكيرج وبين أفاضل أجلة من العلماء بمصر ، فمنهم من أخذ عنه الطريق ومنهم من أخذ الحديث ومن تذاكر معه ، وممن كتب إليهم بعد سفره ممن أحبهم بالغيب العالم النحرير الفاضل العابد الذاكر الأمين السيد محمد بن إبراهيم الببلاوى ، لازال راقياً فى أوج المعالى حفظه الله تعالى ، آمين .

وإن الجميع هنا لعودة ذلك العارف الكامل والقطب العامل الواصل لمشوقون ، ونسأله سبحانه أن يمن علينا بشهود طلعتة ، أطال الله حياته ، ونفع به المسلمين ، فلهو الحصن والدرع والدواء الشافى والمعين الصافى الذى تتفجر منه الحكمة والأسرار والمعارف والأنوار رضى الله عنه ، آمين .

٢٤ - سيدى ابن عمر بن سيدى محمد الكبير رضى الله عنه

وارث سيدنا ابن عمر ، وافق اسمه مسماه سمياً وهدياً وتقى ومكارم أخلاق ، الشاب الشريف ابن الشريف سيدى محمد الكبير بن سيدى البشير بن سيدى محمد الحبيب بن القطب الأكبر المكتوم سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه ، سنه حوالى الثلاثين ولكن العقول تحار فى فضائله ، فهو شيخ كبير ، عظيم فى المعانى جليل ، وقد تشرفنا برؤيته وسعدنا بشهود طلعتة عند أوبته من الحج ببورسعيد سنة ١٣٥٣ هـ ، وحسبه أنه بضعة القطب المكتوم سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه بضعة رسول الله خير الخلق صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والمؤمنين .

وبه نختتم الرسالة تيمناً به وبالشيخ رضى الله عنه ، وأسأله سبحانه أن يتجاوز عن سيئاتنا .

كلمة ختامية

الطريقة التجانية براء من كل ما يخالف الشرع الشريف ، وما ينسب إلى الشيخ مما يوهم ذلك فهو مؤول يحمل على وجه لائق ، وما لا يمكن حمله على وجه شرعى فهو مكذوب عليه ، وهو وأهل الطريقة قاطبة براء منه .

وقد اختصرت فى بعض التراجم حيث لم يكن لدى من العلم بتفاصيل حياتهم ما أستطيع أن اعتمد عليه ، والله سبحانه يتولانا بفضله ، والحمد لله أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله والمؤمنين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

محمد الحافظ التجانى

مصر الجماميز ٥٣